صفحات مجهولة من تاريخ الحركة الإسلامية المعاصرة

من النكسة إلى المشنقة

شهادة

طلال الأنصاري

تحرير د. عبد الله سرور

صفحات مجهولة من تاريخ الحركة الإسلامية المعاصرة

من النكسة إلى المشنقة

شهادة
طلال الأنصارى

(الجزء الأول)

إعداد وتقديم

د. عبد الله سرور

عنوان الكتاب : من النكسة إلى المشنقة .. شهادة طلال الأنصارى
اسم المؤلف : طلال الأنصارى
الغلاف للفنان : أنس الديب
الناشر : مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات
قطعة رقم ٧٣٩٩ شارع ٢٨ من شارع ٩ - المقطم
ت : ٥٠٧٥٩١٧
e.mail : mahrosa@ hotmail.com
المدير العام : فريد زهران
رقم الإيداع : ٢٠٠٦/٢٠٤٤
الترقيم الدولى : 977/313/137/8

جميع حقوق الطبع
محفوظة لمركز المحروسة

الطبعة الأولى ٢٠٠٦ م

من النكسة إلى المشنقة
شهادة
خلال الأنصارى

بسم الله الرحمن الرحيم

" من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم

من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا "

صدق الله العظيم

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد ...

فقد اكتنزت المكتبة العربية بأرتال من الكتابات عن الحركات الإسلامية المعاصرة، وشهدت الساحة اندفاعه كبيرة من الكاتبين الذين أفاضوا علينا بكتب وكتابات ودراسات حول هذه الظاهرة، خاصة بعد أن ظهر الاهتمام العالمي بها عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر الشهيرة. وكان طبيعيا أن تتوقف هذه الكتابات جميعا عند قضية الفنية العسكرية لأسباب موضوعية وتاريخية . لكنها جميعا فى عرضها وتحليلها واستخلاصها للنتائج قد استندت إلى تحقيقات النيابة وأوراق القضية ومحاضر الجلسات، وهذه جميعا ليست بذات غناء، لأسباب موضوعية أيضا حيث تجاهلت هذه الكتابات الطبيعة السرية لهذه التنظيمات بدليل أن قائمة الاتهام لم تشمل ثلثى أعضاء التنظيم، ولأن البناء التنظيمى للجماعة كان محكما لم تغادر خيوطه أيدي قادته الثلاثة وهؤلاء لم يفضوا بشيء، ويكفى أن مؤسس الجماعة ورائدها الفكري لم يرد ذكره فى أوراق القضية ولا فى غيرها .. لذلك كله وغيره كثير ظلت جماعة الفنية العسكرية سرا مغلقا خاصة بعد أن أعدم صالح سرية وكارم الأناضولى، أما طلال الأنصارى فلم يتكلم .. لكن الدكتور سعد الدين إبراهيم كان الباحث الوحيد الذى حاول استجلاء الحقيقة، فالتقى مرارا بطلال الأنصارى الذي ضن عليه بالكثير.

ولقد ظللت قريب الصلة بهذه القضية لصداقتي للأستاذ عبد المنعم الأنصارى ــ أسأل الله له الرحمة الواسعة ــ فقد عشت معه طرفا من محنته فى ولده، ولمست بعض عذاباته أثناء سعيه الحثيث لتخفيف الحكم الصادر ضده. ومنذ أصدرت كتابى "الإرهاب المقدس" فى مثل هذه الأيام من عام ١٩٨٩ وتناولت فيه ظاهرتين هما ظاهرة المد الإسلامي الحديث، وظاهرة استخدام الجماعات الدينية للعنف، منذ ذلك التاريخ وأنا مشوق إلى الكتابة عن قضية الفنية العسكرية، إلا أن الظروف لم تكن مواتية على الإطلاق .

وبعد أن زالت محنة طلال فانه ظل يرفض الكتابة أو الحديث فى هذا الأمر، وكنت أقدر أسبابه وأولها الحياء من أن يتحدث عن نفسه . ولكن بعد أن كرت السنون، واستقرت به الأيام محاميا مرموقا، وأبا محبا لأبنائه الخمسة، يبدو أنه قد بدأ يحس دبيب الشيخوخة فى أوصاله، فوافق على أن يتكلم فقط، لعله بذلك يقدم الشهادة ويؤدى الأمانة التي عاهد عليها رفيقيه، فيستريح صدره.

ولم تكن أحكام القضية الصادرة فى نهاية مايو ٧٥ هى خاتمة المطاف أبدا، فقد كان هذا التنظيم أشبه بجبل الثلج، يبدو رأسه فقط، ولذا تتابعت الأحداث بعد ذلك مرارا، فالقاضى يحكم بالأوراق التي لديه ولا شأن له إن كانت تشتكى النقص أو تصرخ بالعوار فهذا شأن الباحثين.

فى اليوم العاشر من شهر مايو عام ١٩٧٥ اكتملت هيئة محكمة أمن الدولة العليا على منصة القضاء وكانت تتكون من المستشار برهان الدين العبد رئيسا والمستشارين عبد اللطيف المراغى ووجدي عبد ا لحميد عضوي اليمين واليسار. أما ممثل الادعاء فكان المستشار صهيب حافظ رئيس نيابة أمن الدولة العليا وقد عاونه آنذاك العديد من رؤساء النيابة منهم الأساتذة (المستشارون ومنهم بعد ذلك المحافظون) رجاء العربى وماهر الجندى وعدلى حسين وعبد الحميد صادق ومصطفى طاهر، أما هيئة الدفاع عن المتهمين فكانت مكونه من أسماء تاريخية فى عالم المحاماة فى مصر منهم إبراهيم طلعت مصطفى وممتاز نصار ورجائى عطية وأحمد الخواجة والدكتور عبد الله رشوان وفايز عبد المعز وغيرهم كثيرون..

أما على يمين القاعة فكان قفص الاتهام مزدحما باثنين وتسعين من المتهمين من خيرة شباب مصر، جلهم من طلاب الجامعات، أما القضية فهى المعروفة باسم قضية الفنية العسكرية .

ووسط صمت مطبق كصمت القبور رغم الأنفاس الحبيسة فى الصدور المتوترة وفى حضور مراسلى الصحف ووكالات الأنباء العالمية وممثلى الصحافة المصرية نطق المستشار برهان الدين العبد رئيس المحكمة الجزء التمهيدى من الأحكام (قررت هيئة المحكمة بإجماع الآراء إحالة أوراق كل من صالح عبد الله

سرية وطلال عبد المنعم الأنصارى وكارم الأناضولى إلى فضيلة المفتى وتؤجل القضية إلى جلسة ٥/٣١ لسماع الأحكام ٠٠ رفعت الجلسة) ٠٠ ونهضت هيئة المحكمة واستدارت مغادرة القاعة إلى غرفة المداولة ٠

واهتز ت أركان القاعة للهتافات المدوية التى انطلقت من الحناجر الشابة

المفعمة بحماسة الإيمان : الله غايتنا والرسول قائدنا والقرآن دستورنا والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا.. ولقد صارت هذه الهتافات من بعد هى الشعارات المعلنة لجميع الحركات والتيارات الإسلامية لأكثر من ثلاثة عقود من الزمان ٠٠وربما كان بعضها مأخوذا من القضية الإسلامية الوحيدة التى سبقتهم وهى قضيه الإخوان المسلمون عام ١٩٦٥ ٠

وفى يوم ١٩٧٥/٥/٣١ عقدت محكمة أمن الدولة العليا جلستها فى الساعة العاشرة والثلث صباحا للنطق بالأحكام، وكان قد تم إعداد قفص اتهام صغير بالجانب الآخر من القاعة وفى مواجهة القفص الأصلي ليكون خاصا بالثلاثة الذين أحيلت أوراقهم إلى المفتى فى الجلسة السابقة واستغرقت الجلسة عشر دقائق تلى خلالها رئيس المحكمة الأحكام بعد أن تلى المواد القانونية التى استندت إليها المحكمة فى إصدار الحكم ٠ وكان كالتالى : (أولا : حكمت المحكمة وبإجماع الآراء بالإعدام شنقا على كل من الدكتور صالح عبد الله سرية وطلال عبد المنعم الأنصاري وكارم عزت الأناضولي) ٠٠ أما بقية الأحكام فكانت : الأشغال الشاقة

المؤبدة لثمانية متهمين، والأشغال الشاقة ١٥ سنة لسبعة متهمين، والأشغال الشاقة ١٠ سنوات لثمانية متهمين، والأشغال الشاقة ٥ سنوات لستة متهمين، والبراءة لستين متهما ٠

وبلغ عدد صفحات حيثيات الحكم ٥٠٠ صفحة فولسكاب، وجاء فيها " انه ثبت من التحقيقات إن صالح سرية وطلال الأنصارى اتصلا بجماعة الإخوان المسلمين ومن بينهم السيدة زينب الغزالي والمرحوم حسن الهضيبي ولكن الأخيرين أعرضا عنهما.. وقررت أن الهضيبي طرد طلال الأنصارى وطلب منه الالتفات إلى دروسه، وأن صالح كان يأخذ على حركة الإخوان السلبية التى تطغى عليها ٠

وأن السيدة زينب الغزالي قالت إنها عرفت صالح سرية ولم تكن صورة المجرم التي كشف عنها الحادث قد ظهرت لها، وأنها فوجئت بحادث الهجوم على الكلية الفنية العسكرية ... وقد أفسد صالح سرية الفرحة بالقرار الصادر عن عاطفة نبيلة وإنسانية من الرئيس أنور السادات بالإفراج عن ٧٠ ممن سبق الحكم عليهم من الإخوان المسلمين، وأنها لو علمت بالتنظيم الذى كونه المتهم لأبلغت السلطات عنه).

ولقد ظن كثيرون – خطأ – أنه عندما نطق المستشار برهان الدين بهذه الأحكام فانه يكون قد أسدل ستار النهاية على مشهد بارز من مشاهد التاريخ المعاصر، لكن حقائق الواقع تؤكد أن موضوع هذا المشهد وأبطاله سواء من كانوا منهم فى الصفوف الأمامية أو الخلفية فإنهم صنعوا معالم مرحله فارقه من التاريخ المصري المعاصر تركت أثاراً بالغة الأهمية فيما تلاها من مشاهد وأحداث.

وعلى الرغم ممن أدركوا أهمية هذا الحدث فكتبوا عنه وتناولوه فى دراساتهم ومقالاتهم مثل : د. هالة مصطفى من مركز الأهرام، رفعت سيد أحمد، عادل حموده، محمد حسنين هيكل، صلاح عيسى وسعد الدين إبراهيم والدكتور رفعت السعيد وغيرهم كثيرون، إلا أنهم جميعا – على تفاوت فيما بينهم –. ورغم كثرة ما كتب – وبعضهم كان مخلصاً وجاداً فى المحاولة، إلا أن لب الحقيقة ظل خافيا. وقد يكون السبب الأول فى هذا أن أصحاب الحدث أنفسهم لم يتكلموا حتى الآن رغم مرور حوالي ثلث قرن على هذا الحدث .

ولقد آن الأوان لفض أختام الأسرار ونشر هذه القصة بتفاصيلها كى يعرف المصريون ماحدث ولماذا حدث، ومتى ولدت الحركة الإسلامية المعاصرة؟ وكيف ولدت التيارات الإسلامية المعروفة اليوم؟، وتفاصيل هذه السنوات التى كان أصحاب هذا الحدث هم الفاعل الرئيس خلالها !!! وهذا ما نعرض له فى هذا الكتاب إذ نقدم للقارئ العربى للمرة الأولى شهادة أحد أبرز صناع هذا الحدث الكبير وهو طلال محمد عبد المنعم الأنصارى، بعد صمت دام أكثر من ثلث قرن من الزمان .. وهذه الشهادة على خطورتها فإنها تكشف كثيرا من الحقائق الهامة، التى تقتضى من الباحثين والكاتبين إعادة النظر فى كثير مما كتبوا، وفى كثير من

المسلمات الفكرية التى تعاطوها فى كسل لذيذ، وجاءت هذه الشهادة الأولى لتطبح بها٠ ولا أخفى غبطتى بصدور هذا الكتاب، فقد كان الشاعر المرحوم عبد المنعم الأنصارى صديقا عزيزا، تعايشت معه وقت أن كان ولده فى محنته التى يعرض هذا الكتاب لطرف منها، ولقد صاغ الأستاذ الأنصارى تجاربه عذاباته شعرا وجمع أشلاء كبده المفتتة فى قصائد تذوب حرارة وتنطق مرارة، كانت موضوعاً لكتابى " الأنصارى شاعر الحرية والثورة"

ولا يفوتنى أن أنوه بأننى قد عمدت إلى الإيجاز قدر الطاقة لأن هذه الشهادة بتفاصيلها إنما تقتضى ما يجاوز إمكاناتنا، فعمدت إلى القصير الدال، وتركت غيره إلى طبعات أخرى قد نحتاج إليها فى مقبل الأيام وأيضا فقد تجنبت إصدار الأحكام على الوقائع مكتفيا بالتزام الموضوعية والحيدة فى عرضها، دون أن أعمد إلى استفزاز حفيظة القارئ الراغب فى الاستزادة ٠٠٠ وأيضا حين عرضت لى تفاصيل أعضاء التنظيم فقد تجمعت لدى حصيلة ثرية من التجارب الحياتية والمواقف الإنسانية التى لا يجدها الناس عادة فى مشاهداتهم اليومية، لذا فإنني أزمع قريبا بإذن الله أن أصدرها فى كتاب ٠٠

وأخيرا فهذه شهادة حق نقدمها إلى الأجيال الجديدة وفاء بحقها علينا، ولتكون وثيقة على الأيام ٠٠٠وما توفيقي إلا بالله ٠٠ انه نعم المولى ونعم النصير٠

دكتور عبدا لله سرور

جامعة الإسكندرية

الأسكندرية فى ٢٠٠٦/١/١٤

الفصل الأول :

النكسة .. والتأسيس

كان ألم نكسة عام ١٩٦٧ عظيما، خاصة وقد صارت بلادنا محتلة وأطل الاستعمار برأسه من جديد يذكرنا بما صرنا إليه من ضعف وهوان، وتبددت آمال استرداد فلسطين من أيدي الصهاينة . وزاد من الألم القاسى أن أدرك الناس كم كانوا فى وهم عظيم، يصبحون على أهازيج الإنجازات والقضاء على الاستعمار وأعوانه، ويمسون على أناشيد القوة والنصر. إضافة إلى قصص المأساة التى أصابت جنودنا فى سيناء والتى راحت تتلى على مسامع الناس فأصابتهم بكل ألوان الألم والأسى . أما فى مدينة الإسكندرية ــ تحديدا ــ فقد التحف السكندريون بالذهول وغطتهم الدموع : الذهول من هول الهزيمة وحجمها، والدموع على القتلى والجرحى من القوات المصرية التى أمدها كل بيت بواحد من أبنائه .

هكذا كان شعور أهل الإسكندرية بالفجيعة عاما، وكان الإحساس بالأسى والحسرة مريرا فى كل الحلوق، وازداد الشعور بالإحباط خاصة مع توالى الأيام واكتشاف مزيد من الحقائق، وانتشار كثير من القصص والأخبار المؤلمة . وشاعت فى أدبيات تلك الفترة ألفاظ وتعبيرات الغربة والنحيب والبكاء والظلام والضياع والأسى، كما ذاعت معانى الخيبة والكآبة والهزيمة والإحباط والتمزق . ولكن نشأ تيار قوى يدعو الناس إلى العودة إلى طريق الله، وأن ما نزل بنا كان ابتلاء بسبب طول ابتعادنا عن النهج القويم . واتجه شباب إلى التراث الإسلامي ينهلون منه ويبحثون فيه عن إجابات لأسئلة الحاضر . وعكفوا على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وسيرة الصحابة والتابعين .

لكن مطلع عام ١٩٦٨ كان فارقا، فقد حفلت مساجد مدينة الإسكندرية آنذاك بعدد من العلماء المجاهدين الذين آمنوا بحقيقة أن المسجد ينبغى له أن يحمل العبء الأكبر فى النهوض بالأمة من كبوتها، وأن يلعب الدور الأعظم فى حركة الإصلاح الداخلى، وفى إعداد الأمة لمواجهة العدو الإسرائيلي الرابض على الضفة الشرقية لقناة السويس، وكان هؤلاء العلماء بذلك يتحدون جبروت النظام الناصرى ــ كما يقول الإخوان المسلمون ــ وقبضته الحديدية الدموية على النشاط السياسى فى مصر، حيث لم يكن قد مضى سوى عامين اثنين فقط على المذبحة التى قام بها النظام ضد جماعتهم فى عام ١٩٦٦ تلك المذبحة التى تم فيها شنق ثلاثة من قيادات

الجماعة هم العالم والفقيه والمفكر الإسلامي الكبير سيد قطب إضافة إلى عبد الفتاح عبده إسماعيل ومحمد يوسف هواش، عدا العشرات من الأحكام القاسية على أعضاء الجماعة بالسجن، فضلا عن عشرات الآلاف الذين غيبتهم السجون والمعتقلات.

كان من هؤلاء الأئمة الأعلام المجاهدين الشيخ محمود عيد فى مسجد السلام بشاطئ استانلى، والشيخ أحمد المحلاوى بمسجد سيدى جابر قبل انتقاله إلى مسجد القائد إبراهيم فى محطة الرمل، إضافة إلى علماء جماعة أنصار السنة المحمدية الأعلام والتاريخيين مثل دكتور محمد شوقى، ومحمد بسيونى، وشاهين أبو رأس كاشف، وفتحى محمود، ومحمد عبد المجيد، وعبد المنعم عبد الصمد ، ورفاعى سرور وغيرهم كثيرون. وصارت تجمعات هؤلاء العلماء بؤرا ثورية حقيقية يتم فيها تشريح الأوضاع السياسية فى مصر وانتقاد سلبيات السلطة وتجاوزاتها وأيضا إشعال حماسة الأمة وحثها على النهوض من كبوتها..

ولأن جل هذه التجمعات حول العلماء المجاهدين كانوا من الشباب فقد انتقل صداها إلى جامعة الإسكندرية لكون أكثرهم من طلاب الجامعة، وبذلك انتقلت روح الثورة والتمرد والرغبة فى التغيير من المساجد إلى الجامعة التى كانت حبلى بروح التغيير والثورة ورفض الهزيمة.. فقد كانت تجمعات الطلاب يملؤها الغضب لما حل بالجيش المصرى من هزيمة وتدمير فى صحراء سيناء، ولما يرونه من تفسخ سياسى واجتماعى داخل المجتمع .. كان الطلاب أشبه بقنابل موقوتة على وشك الانفجار.. وقد حدث هذا سريعاً حين جاءت الشرارة من حدثين متقاربين: الأول.. من صدام فى المنصورة بين الشرطة وتلاميذ المدارس الذين كانوا يحتجون على قرارات مفاجئة لوزير التربية والتعليم آنذاك الدكتور حلمي مراد فأصابت الشرطة الكثيرين منهم، ونقل الطلاب المغتربون من المنصورة إلى زملائهم بجامعة الإسكندرية تفاصيل الوقائع التى ألهبت غليان الدماء فى العروق المشدودة.. أما الحدث الثانى.. فكان صدور حكم المحكمة العسكرية فى قضية ضباط الطيران المسئولين عن النكسة الذين قدمهم النظام للمحاكمة ككبش فداء لامتصاص مشاعر غضب الجماهير، وقد رفضها الشعب كله وفى طليعته طلاب جامعة الإسكندرية

لأنها كانت أحكاما هزيلة مستفزة لا تناسب حجم المصيبة.. فانفجرت الجامعة واهتزت معها الإسكندرية بأسرها، وانضمت الجماهير فى الشوارع ومعها طلاب المدارس إلى ثورة طلاب الجامعة، وكانت كلية الهندسة هى مركز هذه الحركة التى التفت حولها قلوب السكندريين، وكان الطالب محمد خيرت الشاطر ابن المنصورة اللامع طالبا فى كلية الهندسة وأحد القيادات البارزة لهذه الحركة وصاحب الأثر والدور الكبير فقد كان على رأس اعتصام الطلاب الذى استمر طويلاً داخل كلية الهندسة وهو الآن نائب المرشد العام للإخوان المسلمين، والذى كثيرا ما خلط الكاتبون عن هذه الفترة بينه وبين عاطف الشاطر الذى كان ا لرئيس الرسمى لاتحاد طلاب جامعة الإسكندرية فى هذا الحين.

هكذا كان عام ١٩٦٨ بكل غليانه وتفاعلاته فى مدينة الإسكندرية الساخنة الساحلية، وأهلها معروفون بالحماسة والاندفاعة والغيرة ٠٠فى هذا العام ولدت الحركة الطلابية المعاصرة، وفيه أيضا ولدت الحركة الإسلامية المعاصرة وفى هذه المدينة دون غيرها، وخلافا لما كتبه عديد من الكتاب والصحفيين الذين زعموا بغير حق أن الحركة ولدت فى القاهرة.. وهذه هى التفاصيل.. فى زاوية صغيرة بحارة جانبية فى حى الإبراهيمية أحد أحياء الإسكندرية التاريخية تجمع عدد بسيط من الأصحاب لا يتجاوز الخمسة أفراد فى حلقة درس من دروس جماعة أنصار السنة المحمدية المشهرة رسمياً، وفى هذا اليوم من أيام شتاء عام ١٩٦٨ تعاهد هؤلاء الخمسة على إحياء جماعة الإخوان المسلمين التى غابت عن الأنظار بعد أن قبع أفرادها فى أقبية السجون المصرية بعد إعدام قادتهم قبلها بعامين ٠ ولم يكن لأى من هؤلاء الشباب سابق معرفة مباشرة بالإخوان، كما لم يسبق لهم الالتقاء بأى من قادتهم، بل هى عاطفة مجردة وولاء بالغيب واعتقاد يقينيٍ بأن جماعة الإخوان المسلمين هى العصبة الوحيدة التى تحمل مسئولية الإسلام، ولذا ينبغى على من يؤمن بالإسلام أن يكمل المسيرة ويحمل الراية من بعدهم.. لم تكن آنذاك أية أسماء لجماعات أخرى معروفة للناس، مثل ما سمى بعد بالجماعات الإسلامية، ولا عرفت كلمات مثل جماعات الجهاد والجماعة الإسلامية أو السلفية أو التكفير والهجرة بل الإخوان والإخوان فقط ٠ هؤلاء الخمسة كبيرهم محمد بسيونى تجاوز الآن السبعين

من عمره، وأصغرهم طلال الأنصارى تجاوز الخمسين من عمره، أما أوسطهم فهو المرحوم يحي هاشم الذى قتل عام ١٩٧٥ برصاص الشرطة وكان رئيس نيابة دكرنس، وأحدهم وهو رفاعى سرور فقد قضى عدة سنوات فى السجن فى أحداث المنصة عام ١٩٨١، وأيضا المهندس حامد الدفراوى أحد قيادات جماعة الإخوان الآن وأحد قيادات نقابة المهندسين بالإسكندرية إلى عهد قريب ... هذه هى الحقيقة المجردة التاريخية وأبطالها لا يزال أكثرهم أحياء يرزقون ... هكذا تكونت أول خلية إسلامية وكانت هى المجموعة الوحيدة الموجودة فى مصر كلها.. وبعد ذلك بحوالى عامين جرت محاولة لضم مجموعة بالقاهرة كانت مجرد حلقة دراسية على رأسها إسماعيل طنطاوى وكان على هامشها شاب يدعى أيمن الظواهرى وكان آنذاك طالبا فى السنة الإعدادية بكلية الطب، لكن محاولة ضم مجموعة القاهرة لم تفلح لأنهم انزعجوا من الخط الجهادي الإخوانى الذى يميز مجموعة الإسكندرية فآثروا الابتعاد والانزواء مكتفيين بما اختاروه لأنفسهم من دراسة وتفقه فى الدين ... ولكن القدر كان يخفى أن هذا الشاب أيمن الظواهرى الذى كان على هامش هذه المجموعة والذى كان فى بداية دراسته بكلية الطب سيقدر له بعد ذلك بسنوات طويلة أن يعود للفكر الجهادى الذى رفضه آنفا، بل يصير من أشهر رموزه.

هكذا شهد عام ١٩٦٨ بداية تشكيل هذه الجماعة على يد محمد بسيونى الموظف بشركة الحرير الصناعى، والذى قام بدور المعلم والمؤسس للفكرة التى انطلقت منذ ميلادها بعد محنة الإخوان وحتى نهاية عام ١٩٧٠ تاريخ وفاة عبد الناصر، لكنها حققت انتشارا وازدادت قوة على الأيام بعد أن التحق بها طلال الأنصارى عام ٦٨ فوجدت لها أرضا خصبة فى زملاء الدراسة فى المرحلة الثانوية ، وكانت أكبر مدرستين ثانويتين فى الإسكندرية آنذاك الناصرية والعباسية مفرختين لهذه الجماعة، فقد احتويتا على صفوة أبناء الأسر السكندرية المتميزة اجتماعياً وخلقياً، وكانتا تتناوبان المركزين الأول والثانى تفوقا ، حتى أن بعضنا لا يتجاوز كثيرا إذا قال أن الحركة الإسلامية المعاصرة والتى كانت بدايتها فى الإسكندرية ولدت فى كل من المدرستين الثانويتين :الناصرية بحى باكوس

والعباسية بمحرم بك.. ووجد هؤلاء الشباب مرتعا فى مساجد أنصار السنة المحمدية بالإسكندرية وزواياها الصغيرة المنتشرة فى الأحياء والأزقة الشعبية، وحققوا نشاطاً مكثفاً ومتزايداً لجماعتهم التى لم يكن لها آنذاك من اسم غير كلمة الجماعة.. ولم يكن لسواها ذكر على الساحة منذ كدس النظام الإخوان فى السجون... فلم يبق تجمع شبابى منتشر على السطح سواهم .. رغم أن هذا التشكيل الجديد كان نصفه فقط علنيا، أما نصفه الآخر فكان تحت السطح..

وخضع أفراد الجماعة لبرنامج إعداد وبناء قويم، فكان الإفطار الجماعي يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع فى مشهد احتفالى ضخم، وكانت الدروس الموسعة التي هى لقاءات ثابتة فى مساجد أنصار السنة المحمدية، وأيضا فى منازل الأعضاء فى مدينة الإسكندرية حيث استعملت مراكز ونقاط تجمع كلما احتاجت الحركة لبعض الخصوصية، وأيضا حلقات قراءة القرآن فى البيوت والمساجد، والتى لم تخل من التركيز على آيات كانت صواعق ثورية مثل آيات الحاكمية فى سورة المائدة وغيرها..

وانضم إلى هذه الجماعة ــ على تفاوت ــ شباب قدر لهم بعد ذلك أن يكونوا ذوى تأثير واسع فى المجتمع المصرى.. فمثلا كان منهم طالب كلية التجارة آنذاك وجدى غنيم الذى سبق أقرانه فى اعتلاء منبر الخطابة وبرز فى الدعوة الجماهيرية حتى انه صار بعد ذلك بسنوات أحد القيادات الجماهيرية لجماعة الإخوان المسلمين، وداعية بارزا فى القنوات الفضائية، وأيضا منهم طالب كلية العلوم محمد أحمد حجازى والذى سنراه بعد ذلك أحد البارزين فى نشر الحجاب بين طلبة جامعة الإسكندرية وذلك من خلال دوره القوى فى تشكيل جبهة طلابية وراء أشهر أستاذة جامعية خاضت أول معارك الحجاب فى الجامعة وهى الدكتورة ليلى فريد أبو حديد ابنة الأديب ذائع الصيت محمد فريد أبو حديد من مشاهير كتاب القصة فى الأدب المصرى الحديث وهى بدورها صاحبة أول تجارب التعليم الإسلامي الخاص فى مصر حيث قدر لها بعد ذلك أن تكون رئيس مجلس إدارة مدارس بدر الإسلامية، والتى سار على خطواتها بعد ذلك جماعة الإخوان المسلمين حين أنشئوا سيراً على

خطاها مدارس المدينة المنورة.. ومن هؤلاء الشباب أيضاً انطلقت حركة دعوية كبيرة على يد أحدهم وهو طالب مدرسة العباسية الثانوية محمد إسماعيل، الذى صار فيما بعد مؤسس الحركة السلفية والتى صارت صاحبة تأثير ضخم على شباب مصر حتى الآن.

وكانت معارك حرب الاستنزاف على جبهة قناة السويس وقيام القوات الإسرائيلية بقصف مدن القناة، وأخبار المزيد من الدمار وقتل المدنيين، وتمكن الطيران الإسرائيلي من التوغل لعمق المدن المصرية فى إسنا وأبى زعبل وضرب تلاميذ مدرسة بحر البقر، كانت هذه الأنباء وقودا يؤجج نيران الغضب فى الصدور الضيقة... ولم يكن الإعلام المصرى مرتقيا إلى مستوى مسئولية الأحداث، أما عن الفن فحدث ولا حرج، بل انه أسهم فى استفزاز مشاعر الناس بما قدمه من سينما هابطة مثال ذلك أنه تم فى هذه الفترة إنتاج أفلام سيئة يكاد التليفزيون المصرى حتى الآن لا يستطيع عرضها على شاشته مثل فيلمى أبى فوق الشجرة وحمام الملاطيلى. ولقد زاد هذا كله من غضب الشباب المسلم، وزاد من حدة رد فعله، فتكونت فى مسجد السلام جمعية مسجد السلام على يد شخصيات سكندرية بارزة فى ذلك الوقت منهم الشيخ محمود عيد الداعية الإسلامي، وأسعد راجح الرئيس الأسبق لاتحاد العمال العرب وبطل مقاطعة المواني العربية للسفن الأمريكية فى أعقاب مقاطعة عمال الشحن فى ميناء أمريكى للباخرة المصرية كليوباترا فى بداية الستينات.. وجعلت هذه الجمعية تربية شباب الجامعة على رأس نشاطها أما جماعتنا فقد نظمت برنامجاً ثقافياً لأعضائها اشتمل على قراءات منتقاة لأعلام الفكر الإسلامي المعاصر، واختارت أسماء لامعة مثل سيد قطب فى أبرز كتاباته الظلال والمعالم والمستقبل لهذا الدين وخصائص التصور الإسلامي وهذا الدين والعدالة الاجتماعية فى الإسلام وغيرها.. أما محمد قطب فقد درست الجماعة لشبابها عيون مؤلفاته مثل هل نحن مسلمون، وجاهلية القرن العشرين، وشبهات حول الإسلام ومعركة التقاليد، والإسلام ومشكلات الحضارة وغيرها، وللشيخ محمد الغزالى مؤلفاته الشهيرة معركة المصحف، والزحف الأحمر، وفى موكب الدعوة وغيرها،وللدكتور محمد البهى خمس رسائل للشباب المسلم، أما أبو الأعلى

المودودى فقد كانت معظم كتبه مقررات على شباب الجماعة مثل مبادئ الإسلام والإسلام والجاهلية وشهادة الحق، ومن أهم كتب هذه المجموعة الثقافية كتب لسعيد حوى مؤلف الإخوان الشهير فى الشام وكان كتابه جند الله أهم هذه الكتب وخاصة باب بعنوان هل فى العالم الإسلامي ردة ؟ وكتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للندوى، وكتاب زاد المعاد لابن القيم.. وإضافة إلى هذه المؤلفات كانت قصاصات صحف محاكمات الإخوان فى قضيتهم الشهيرة فى منتصف الستينات تتداول فيما بين شباب الجماعة، وبها صور لرموز الإخوان سيد قطب ويوسف هواش وعبد الفتاح إسماعيل والمستشار حسن الهضيبى وزينب الغزالي وغيرهم ممن سيقدر لهم فيما بعد أن يكونوا ذوى تأثير كبير على شباب هذه الجماعة، وكان محمد بسيونى يأتى بهذه المؤلفات ليقرأها على الشباب المتطلع دائما إلى الاستزادة، وبعضها كان أوراقا تم تهريبها من خلف القضبان مثل مؤلفات سيد قطب التى لم تكن مطبوعة.

وإلى جانب هذا الزخم الثقافي كان هناك منهج تربوى سارت عليه الجماعة آنذاك لتعميق الإيمان، وقد تمثل فى المداومة على قيام الليل وصيام النوافل، وقراءة القرآن كورد يومي ثابت مع الحفظ المنظم وتعميق الاتصال الشخصي للتآخي والمودة حتى صارت هذه الجماعة لحمة واحدة ونسيجا متماسكا . وكان للجماعة نشاط أخر لم يكن الهدف منه واضحاً بل كان غامضاً وهو جانب الإعداد البدنى والحركى، فقد كانت الجماعة حتى ذلك الحين بعيدة كل البعد عن معرفة مصيرها القريب، إلا أنها كانت توقن أن مستقبلها سينتهى إلى صدام مع النظام كيف ومتى ؟! لم تكن المسألة واضحة ولا محددة.. وهذا المنحى من الغموض والحيرة دفعهم إلى أن يستعدوا بأبسط أشكال الاستعداد وهو الذي سمحت به إمكاناتهم المتواضعة، ولذلك فقد كانوا يسعون إلى الانضمام إلى كل نشاط رياضي وبدنى يتاح لهم.. ويتذكر شباب الجماعة أنهم نظموا طابور سير شاق يبدأ من منطقة باب شرقى بوسط الإسكندرية وينتهى عند أقصى شرق المدينة فى منطقة أبوقير أي ما يزيد على عشرين كيلو متراً.

ومن الحقائق التى ينبغى أن تعلن لأول مرة، أنه أثناء أحد دروس الجماعة، كان محمد بسيونى يقرأ علينا من كتاب الحجاب لأبى الأعلى المودودى، وكان مطبوعا على الغلاف تحت اسم المؤلف عبارة (من الجماعة الإسلامية) وكنا منشغلين آنذاك باختيار اسم مميز لجماعتنا، فلم نكن راضين بكلمة الجماعة فقط، وطرح أحدنا الأمر على كبيرنا محمد بسيونى الذى كان مثلنا فى حيرة من تحديد اسم للجماعة، وفجأة وقع بصره على العبارة المدونة على غلاف الكتاب الذى فى يده، فقال لتكن الجماعة الإسلامية، ووافقنا ٠ وكانت هذه هى المرة الأولى التى يطلق فيها هذا الاسم الذى صار بالغ الذيوع بعد ذلك بسنوات ٠

فى هذا الوقت الذى كانت فيه الجماعة تسعى بدأب وإصرار إلى زيادة قاعدتها وانتشارها بين الشباب فى الإسكندرية حتى صارت لها أنشطه دعوية واجتماعية معروفة، وكانت حرب الاستنزاف على جبهة القناة فى أوج اشتعالها وكانت الانتقادات للحكم تتزايد، خاصة منذ قيام النظام بقمع ثورة الجامعة، مما أدى إلى زيادة الاحتقان فى مصر كلها.. وسط كل هذا جاءت وفاة عبد الناصر لتفاجئ الجميع وتوقظ الأمة فجأة على الحقيقة الأبدية وهى أن الموت حق وأنه وحده القادر على إحداث التغيير الحتمى.

ولتبدأ بعدها مرحلة جديدة فى مصر، ولتبدأ هذه الجماعة المتفردة فى التحول من مرحلة الميلاد ثم التكوين إلى مرحلة الانطلاق والعمل.

(٢)

تولى الرئيس السادات الحكم بعد وفاة عبد الناصر وأعلن أنه امتداد لثورة يوليو ويزمع السير على طريق سلفه، ولكنه كان منتويا إحداث تغيير حقيقى ــ كان وحده يدرك أهدافه ومراميه ــ فأراد أن يمهد لهذا التغيير بالعمل على تحقيق شعبية وكسب تعاطف الناس معه فأمر أجهزته بتخفيف قبضتها الحديدية على كافة الأنشطة الإسلامية والسياسية فى مصر. وكان ذلك مما أسهم فى أن ظلت الجماعة غائبة تماما عن عيون أجهزة الأمن وملاحقاتها ٠

في نفس الفترة اعطى الأنبا شنودة سدة الكنيسة القبطية حيث كان يمثل الجناح المتشدد فى الكنيسة على حساب جناح التعايش والتصالح مع الأغلبية المسلمة، وزاد الطين بلة أن فوجئ المسلمون بما يعرف بمطالب سياسية للكنيسة القبطية وفوجئ أهالى الإسكندرية بمنشور كنسى يوزع على نطاق واسع بهذه المطالب.. وأفرز هذا المناخ الخانقي المشحون إشاعات كثيرة عن تعدد حالات تنصير لأفراد مسلمين ساهمت فى تأجيج مشاعر المسلمين ضد كل من جناح شنودة والنظام الجديد. فى هذه الأثناء ومع الشهور الأولى لنظام السادات أفرج عن أول دفعه من قادة الأخوان المسلمين المعتقلين فى أحداث عام ١٩٦٥ – ١٩٦٦، وكان إفراجا مصحوباً برضاء سامى من النظام حيث أعيدت للمفرج عنهم كامل حقوقهم المادية ووظائفهم، كما سمح لهم وعلى الفور ومن أول يوم باعتلاء المنابر.. وهذا الشكل من الإفراج الرضائى كان نادر الحدوث ولم يتكرر فى تاريخ القضايا السياسية ولمدة ثلث قرن بعدها وحتى الآن ؟؟؟.

فى هذه الأثناء كانت حركة الطلبة فى الجامعة فى أشد عنفوانها وقوتها وتأججها، وكان المسجد والجامعة – ولعلها لاتزال إلى الآن – هما التعبير الحقيقى عن توجه الأمة وأمانيها ٠ وكان الطلبة ومنذ ثورتهم عام ١٩٦٨ ما يزالون يطالبون باستقامة الأمة وعودتها إلى النهج الصحيح، وأن تعيش الأمة حالة حرب حقيقية لمؤازرة جنودنا على جبهة القناة ٠ وكانوا يطالبون السادات بالحرب واسترداد الشرف وسيناء المحتلة.. وذلك فى مؤتمرات ومجلات حائط ومنشورات ومظاهرات دائمة حتى أن اتحاد الطلبة الإسرائيليين وجه نداء لاتحاد طلاب مصر يناشدهم فيها إيقاف مطالبتهم المستمرة بالحرب ويعبر عن دهشته من نزوع طلاب مصر إلى الحرب فى الوقت الذى يسعى فيه طلاب للمناداة بالسلام!

كانت هذه هى الأجواء التي أحاطت بالجماعة التي نجحت فى الاستفادة من هذه المتغيرات أيما استفادة.. ولما كانت الجماعة قد استندت فى شرعيتها إلى أنها الامتداد الطبيعي لجماعة الأخوان بعد ضربة ١٩٦٦ وأنها الأولى بإكمال مسيرتها.. لذلك لم تضيع الجماعة وقتاً وسارعت من فورها للالتقاء بالإخوان بمجرد الإفراج عنهم.. كان اللقاء الأول مسجد سلطان بحى راغب التابع لمنطقة محرم بك.. كان

اللقاء مع الشيخ الإخوانى البارز المرحوم على عبده إسماعيل شقيق عبد الفتاح إسماعيل الذى نفذ فيه حكم الإعدام عام ١٩٦٦ وكان شديد الشبه به.. كان على عبده إسماعيل قد عين خطيباً وإماماً لمسجد سلطان الشهير بمنطقة راغب..، ولثوريته المتدفقة فقد انتشر صيته وذاع فى أرجاء الإسكندرية.. أصيب الشيخ على بالذهول عندما وجد نفسه أمام تنظيم جديد من الشباب ينسب نفسه إلى جماعه الأخوان وينتظر خروجهم من السجن بصبر نافذ، وعلى الفور وبعد أن استعاد توازنه قرر الشيخ على وأخذ على عاتقه أن يقوم بدوره ويتولى بنفسه دمج هذا التنظيم فى جماعة الأخوان، واثقاً من أنه سيفاجئ جماعته بهذا الصيد العظيم وذلك الفوز الكبير، وواثقاً من أن هذا الحدث سيفاجئ الأخوان الذين كانوا ما يزالون يلعقون جراحهم من أثار محنة قاسية أفقدتهم التوازن وأصابتهم باليأس من وجود تأثير لهم على الناس مرة أخرى .. كان الشيخ على عبده إسماعيل نموذجاً لعالم ثورى يرى أن الإسلام هو منهج التغيير الحاد والفوري، وإن الطريق إلى تحقيق دولة إسلامية مفروش بالتضحيات والضحايا،وهذا هو الثمن الطبيعي لإحداث تغيير فى الأمة، وكان يرى أن جماعة الأخوان بتاريخها الطويل هى المهيأة لذلك، معتبراً أن الأخوان قد ذابوا – أو ينبغي لهم كذلك – فى شخصية مرشدهم وزعيمهم المستشار حسن الهضيبى، وكان يتعامل معه بتقديس بالغ يصل إلى حد البكاء الصامت فى حضرته وتحاشى النظر الطويل إلى عينيه ومخاطبته همساً !! وكان الشيخ على متوائماً مع نفسه المخلصة للإخوان حين اعتبر أن من أهم واجباته المسارعة بإنهاء إجراءات ضم هذا التنظيم الجديد إلى الأخوان كى يحقق هدفين : الأول : رفع معنويات الأخوان بهذا المدد الجديد وثانيهما : زيادة قوة الأخوان على الساحة السياسية فى مصر، حين يمتلكون قوة تنظيمية شابة وهم يبدءون أولى خطواتهم بعد محنة قاسية وتحت يدهم تنظيم متكامل جاهز للعمل الفورى وعموده الفقرى من الشباب الذين لا تعرف أجهزة الدولة عنهم شيئا وليست لهم ملفات سابقة!!

لكن الذى جهله شباب هذه الجماعة الغض هو الصورة الحقيقية لواقع الأخوان المرير..فقد جرى على الأخوان ما يجرى على أية حركة سياسية يقدر لها أن ينكل

بها على يد نظام قمعي ديكتاتوري، فتصاب بهزيمة شديدة وتنكس أعلامها ويعدم قادتها وتتفكك خطوطها وتنهار أعداد كبيرة من صفوفها ويصيبها الارتباك والتوقف..و لا يحافظ على تماسكه من أعضائها إلا أقل القليل..إلا أن الأقدار قد أنقذت الإخوان من الدمار الشامل والفناء التام لأسباب عدة منها أولاً: وجود مرشد شديد الوعى والقوة على رأس الأخوان وقد اعتبر أن رسالته الأساسية خلال قيادته للإخوان هى الحفاظ على وجودهم ثم الحفاظ على وحدتهم وذلك فى مواجهة الزلازل التى فرضها عليهم نظام عبد الناصر وقد حقق الهضيبى نجاحاً مذهلاً فى هذا الشأن فقد اجتاز محنتين بجماعته فى عامى ١٩٥٤ و١٩٦٦ وهذا هو الإنجاز الحقيقى والمهم للهضيبى • لقد حافظ الرجل على وجود الإخوان من الإبادة وثم الحفاظ على وحدتهم كجماعه واحدة رغم كثرة الانهيارات والانشقاقات، واستطاع أن يوجد تعددية داخل الأخوان تحمي جماعتهم من الانشطار والتشرذم، أما السبب الأخر الذى منع به القدر انهيار الجماعة فهو أن عقيدة الجماعة وهى الإسلام تشكل حائط صد طبيعي أمام مختلف عوامل الانهيار التي أحاطت بالجماعة، فهى إذن المرجعية الثابتة والأصيلة والقاعدة الفكرية الصلبة • أما السبب الثالث : فقد كان وجود مفكرين عظام اعتبرت كتاباتهم تطوراً بالغ الأهمية فى إيجاد امتداد عريض وواسع للإخوان داخل وخارج مصر، وانتقل بهم من عالم المحن والسجون والانهيار إلى أفق التوسع الفكرى والثقافى الذى حماهم من التقوقع والانزواء.. وكان من أبرز هؤلاء المفكرين الشقيقان سيد ومحمد قطب واللذان خلدت مؤلفاتهما ذكر الأخوان وارتفعت به إلى عنان السماء ولولاهما لانتهت قصة الأخوان فى قاع السجن الحربى عام ١٩٦٦.

وبات واضحا فى عام ١٩٧١ أن الإخوان يتنازعهم تياران، وكان الأول يرى أن الجماعة ينبغى عليها أن تمسح جراحها وتكمل مسيرتها وتفيد من تجاربها وتنهض من كبوتها.. وكان على رأس هذا التيار مرشد الإخوان نفسه حسن الهضيبى ويضم بين صفوفه عبد المتعال الجابرى الذى كان بمثابة نائب الهضيبى وقد توفى فى أمريكا فى الثمانينات، وكذلك زينب الغزالى التي توفيت منذ أشهر قليلة..و كان هذا التيار ينظر بعين الريبة والشك إلى نظام السادات وكل ما يصدر

من إشارات أو قرارات ولذلك فقد كان يرى أهمية أن يظل سور سميك بين الجماعة وبين النظام، وأما التيار الثانى فكان يرى أن العمل ينبغى أن يكون بتنسيق مع النظام واجتناب كل ما من شأنه استفزازه.. وكان من التيار الثانى بل على رأسه المرحوم عمر التلمسانى.. وكان التياران يتنازعان الأخوان وكان المرشد حسن الهضيبى يحاول جاهداً إيجاد توازن بين التيارين للحفاظ على وحدة الجماعة، وعلى الرغم من ميل المرشد إلى الاتجاه الأول إلا أنه كان يحاول احتواء وتهدئة مخاوف الاتجاه الثانى.. وهنا يطرح السؤال العصي نفسه هل تنجح مجموعات الشباب الذى تعلقوا بالإخوان ونظموا أنفسهم عليها وتربوا على فكر جهادي أن يتعايشوا مع أوضاع الإخوان هذه؟! وهل يستطيع الإخوان التعايش معهم أيضا ؟؟؟ النظرة السريعة تقطع باستحالة التعايش، لكن هؤلاء الشباب كانوا يجهلون أثر فارق الخبرة ودهاء السياسة

ويمكن إجمال البناء العقدى والتنظيمي للجماعة على النحو الآتي :

أولا : البرامج الحركية : وتنقسم إلى البرامج الرياضية لبناء جسم رياضى قوى، وبرامج التدريبات على المواجهات، وهذه شملت جميع أفراد الجماعة لتدريبهم على التسلل واختراق كافة المبانى الرسمية الحساسة .

ثانيا : البرامج الثقافية : وشملت قراءات لكتب محددة سبقت الإشارة إليها.

ثالثا : البرنامج التربوى : وشمل العبادات والنوافل بهدف تعميق المفاهيم الإيمانية لأعضاء التنظيم، مثل المواظبة على برامج محددة فى الصلاة والصيام وأوراد منتظمة من القرآن والحديث والأذكار .

أما عن المحاور الفكرية للجماعة فيمكن تلخيصها في ثلاثة محاور :

أولا : الوسطية فى المفاهيم العقيدية، فقد مثلت الجماعة ــ كما اتضح بعد ذلك سنوات ــ موقفا وسطا بين أقصى يمين التيار الإسلامي وهؤلاء مثلتهم جماعة أنصار السنة المحمدية والجمعية الشرعية والأزهر، وبين أقصى اليسار الذين مثلتهم جماعات تكفيرية متشددة من أبرزها جماعة محمد إبراهيم سالم وجماعة شكرى مصطفى . وكان أقصى اليمين يشهد بالإسلام للأمة حكاما ومحكومين،

ويدعو إلى التعايش مع الأوضاع القائمة والتصالح معها، ولا يغير من هذا انتقاداتهم لبعض الأوضاع • أما أقصى اليسار فقد بلغ شأوا من الغلو فى أحكامه حيث حكموا على الأمة كلها بالكفر حكاما ومحكومين، حتى إن منهم من أسموا أنفسهم " جماعة المسلمين " ليقصروا الإسلام عليهم باستخدام أداة التعريف، وهؤلاء قاطعوا المساجد جميعا استنادا لمنطق التكفير الجماعى، واستشهدوا لذلك بالآية الكريمة : " وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة " فعزلوا أنفسهم واعتبروا أنهم فى حرب مع الأمة جميعا •

أما جماعة الشباب فقد تعاملوا مع الأمة على أنهم طليعتها المعبرة عنها، فحكموا للأمة بالإسلام، وشهدوا لها بإسلام الفكر والجذور والتوجه، ولكنها أمة مقهورة من نظام حكمها مما يحول بينها وبين تطبيق الإسلام • ولذا ظل أعضاء الجماعة متعلقة قلوبهم بالمساجد، وكيف لا وبعض هذه المساجد كانت تمثل مراكز ملتهبة للثورة، أو كانت ستارا لحركتهم •

ثانيا : الحاكمية : أرسى محمد بسيونى مفهوم الحاكمية بين شباب الجماعة تأسيسا على آيات الحاكمية الواردة فى سورة المائدة ، مثل : " أفحكم الجاهلية يبغون " و" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " و" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون " و" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون " • وأيضا الآية الكريمة من سورة النساء : " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم "، والآية الكريمة من سورة النور : "الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر". وغيرها من الآيات التى تناولت مفهوم الحاكمية فى مواضع عديدة من القرآن الكريم •

واستند محمد بسيونى فى تأصيله لهذا المفهوم إلى ثلاثة مفكرين إسلاميين هم : الشقيقان محمد وسيد قطب وأبو الأعلى المودودى • واستنادا للنصوص السابقة وشروحاتها فقد تعاملت الجماعة مع السلطة الحاكمة على أنها سلطة كافرة •

وانطلاقا من هذا الفهم فقد كان الحفاظ على الثوابت الأساسية للإسلام من أبرز محاور فكر الجماعة، حيث تجسد هذا فى تمثل الجماعة لآيات بعينها فكرا وسلوكا، مثل : " وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله، قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلى " وأيضا : " وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا، ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا، إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات " والآية : " ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار " والآية : " إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الأمر " ... وكان من أثر ذلك كله أن تشدد هؤلاء الشباب تجاه مفاهيم المواءمة والتنازل والصفقات تحت أى مسمى من المسميات المعاصرة .

ثالثا : قضية فلسطين : كانت هزيمة المسلمين فى حربى ٤٨، ٦٧ جرحا غائرا فى فكر ووجدان هذا الجيل من الشباب، وحيث إن القرآن قد حفل بقصص بنى إسرائيل ومؤامرات اليهود ضد الإسلام والمسلمين فقد كانت قضية فلسطين محورا أساسيا فى فكر هذه الجماعة وهذا مرتبط بتصور محدد لديهم وهو أن إقامة الدولة الإسلامية فى مصر هي خطوة أولى وضرورية لتحرير فلسطين ووقف المد اليهودي فى المنطقة العربية والإسلامية ومن هنا جاء تمسكهم بالآيات : " قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين " والآية " .. حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " وقول النبى صلى الله عليه وسلم : " لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود وينطق الحجر يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله " .. وقد وجد هذا المحور له صدى فى أحداث الساعة وقتها فى فلسطين ومصر، فى فلسطين كانت الحركات الفدائية ونهج المقاومة كما تجسد فى معركة الكرامة، فضلا عن أن الزى المموه للفدائى الفلسطيني كان موضة هذا الجيل. أما فى مصر فقد مثلت حرب الاستنزاف وقذائف المدفعية على ضفة القناة، وعمليات العبور اليومى للقوات المصرية ونهج المقاومة منذ تدمير المدمرة إيلات والعمليات الشهيرة مثل رأس العش وجزيرة شدوان وغيرها، كل ذلك مثل وقودا

لهذا الاتجاه • وذلك فى جانب كبير منه يؤكد ارتباط الجماعة بواقع الأمة وأن القضية الوطنية كانت مرتبطة لديها بالقضية الإسلامية •

الفصل الثانى :

نحـن والإخوان المسلمون

مرت صلة هذا التنظيم الشبابي بالإخوان المسلمين بمراحل ثلاثة، كانت أولاها فى منتصف عام ١٩٧١ حين قام الشيخ على إسماعيل بتسليم شباب الجماعة إلى أحد قيادات الإخوان البارزة فى الإسكندرية وهو محمد إبراهيم سالم، وكانت هذه هى المرحلة الأولى لعلاقة تنظيم الشباب بالإخوان تلتها مرحلة ثانية وهى مرحلة زينب الغزالى حيث تحقق الاتصال المباشر بها، وذلك قبل الوصول إلى المرحلة الأخيرة وهى مرحلة المرشد حسن الهضيبى.. هكذا أردنا أن نسمى كل مرحله باسم الفاعل الرئيس خلالها من الإخوان،و قد كانت المراحل الثلاث المشار إليها مرتبطة فعلا بهذه الأسماء السابقة .

أما الشيخ على فقد كان يعتبر أن واجبه الأساسي أن يربط هذا الشباب بجماعتهم الأم الإخوان المسلمين ...إلا أن الوسيلة كانت مضطربة أيما اضطراب أمامه.. فاتجاهات الإخوان ملتبسة فى عينيه .. وخطوطهم متضاربة، وهو رجل حسن النية سليم الطوية قد اختار أن ينأى بنفسه عن كل منطقة شائكة من خلافات التيارات المختلفة داخل الإخوان، فكلهم مسلمون أفاضل.. وخاصة بعد أن مر بتجربة مؤلمة داخل الأسوار عندما تحالف مع شكرى مصطفى وشكلا جبهة على أقصى يسار الإخوان فاتخذت موقف العداء من الجميع بما فيهم الأخوان.. هكذا كان قد أثخنته الجراح قبل أن يثوب إلى رشده ويعود إلى حظيرة الأخوان.

واختار الشيخ على إسماعيل أن يسلم تنظيم الشباب إلى القطب الإخوانى الكبير محمد إبراهيم سالم..هذا الاسم الذى تحول بعدها بسنوات طويلة إلى زعيم لأكبر جماعات التطرف الإسلامي وهى جماعة المسلمين التي أطلقت عليها وسائل الإعلام تكفير التكفير.. وذلك بعد محاكمته داخل جماعة الإخوان على يد اثنين من أقطابها هما الراحل عباس السيسى وجمعة أمين عضو مكتب الإرشاد الآن، حيث أصدرا قرار فصله من جماعة الإخوان وكان سبب الفصل يعود إلى اكتشاف جماعة الإخوان أن سالم يحرك هذا التنظيم الشاب لحسابه الخاص بعيدا عن الإخوان، بعد أن كان مكلفا من الجماعة بالدفاع عن هذا التنظيم وتولى أموره طوال فترة المحاكمة، وقام الرجل بالتنسيق بين المحامين والتمويل وغيره ..

واتضح بعد ذلك أنه كان يمهد لإنشاء تنظيم جديد يقوم على الغلو فى العقيدة والتكفير تمهيدا للانفصال عن الإخوان، وهو ما تم فعلا بعد ذلك حيث بدا مسيرة التكفير إلى أن مات فى ظروف غامضة لم تتضح حتى الآن منذ عام ٩٠، وهذه إحدى غرائب القصص التي نرجو أن تتاح لنا فرصة كتابتها فى مقبل الأيام !!..وكان محمد إبراهيم سالم أحد أبناء عائلة إقطاعية من المنوفية انتقلت بعد ذلك إلى مركز حوش عيسى بالبحيرة وامتلكت مساحة واسعة من الأراضى، كما أنها كانت عميقة الجذور فى جماعة الإخوان حيث كان شقيقه الأكبر من الأسماء الإخوانية الشهيرة، وقد هرب إلى إحدى الدول الأوروبية فرارا من جحيم محنة الأخوان عام ١٩٥٤.. واعتقل محمد إبراهيم سالم فيمن اعتقلوا عام ١٩٦٥، وبرز اسمه داخل السجن الحربى كواحد من أبرز الأسماء اللامعة فى الثبات على المبدأ والصمود أمام آلة التعذيب الناصرية الرهيبة، حتى انه يقال عنه أنه قد صام مائة يوم متواصلة أثناء التعذيب فى السجن الحربى، وبذلك ثبت سالم مكانته كبطل تاريخى من أبطال الأخوان، وكانت سمعته هذه تسبقه فى كل مكان.. فكان شخصية كاريزمية مبهرة بكل المقاييس.. وكان قارئاً حافظاً ينبهر به كل من يصلى وراءه.. كانت لسالم رؤية تميز بها عن سلبيات الأخوان آنذاك تلخصت فى أن الأخوان ينقصهم التأصيل العقيدى والعمق الإيماني، وإنه ينبغى إصلاح هذا الأمر أولاً فى شباب الأخوان وقبل التطرق لأي أمر آخر،و كان الشيخ على شأن كثير من الأخوان مبهوراً بسالم وشخصيته وبتاريخه، ولكنه كان يجهل وضعه التنظيمى داخل الجماعة، خاصة وأن الأوضاع التنظيمية فى تلك الفترة الحرجة من تاريخ الأخوان كانت غاية فى الاضطراب وعدم الوضوح.

بدأ سالم سلسلة لقاءات مع مجموعات التنظيم الجديد من الشباب.. ولقد كشفت هذه اللقاءات عن تناقض بين فى رؤية كل منهما للآخر.. فقد كان سالم يرى أن هذه المفاجأة التى أمامه من تنظيم متكامل جديد كل الجدة أنما هو نبت جديد ينبغى تربيته وإعادة صياغته من الصفر على نظرية سالم التربوية وفى صمت وبعيداً عن كل سلبيات الأخوان.. ولذلك قرر ألا يخرجوا بعيداً عن قبضته.. وعلى الجهة المقابلة أنبهر به شباب التنظيم الجديد لفترة لم تطل ثم ظهرت علامات الاستفهام

التى ملأت رؤوسهم بالأسئلة : فما حقيقة وضعهم مع سالم ؟ وما حدود هذا الوضع ؟.. ولماذا لم يتح لهم معلمهم سالم فرصة الانفتاح على الأخوان ولقاء قيادات أخرى غيره ؟، وإلى متى تستمر هذه اللقاءات التربوية ؟ .. ولما أفضى الشباب بهواجسهم هذه إلى صاحبهم الأول الشيخ على فوجئوا به يشاركهم نفس الهواجس، بل قرر الهروب بهم للأمام والفكاك بهم من أسر سالم، ليبدأ بهم المرحلة الثانية وهى مرحلة زينب الغزالى .. وفى يوم تال من أيام شهر يناير فى شتاء عام ١٩٧٢ أصطحب الشيخ على إسماعيل قائد هذا التنظيم الشبابي إلى منزل الحاجة زينب الغزالى بالقاهرة، وكان طلال الأنصارى طالبا فى الفرقة الأولى بكلية الهندسة، وقد أصابته المفاجأة مما أعلنه له الشيخ على من أنه سيتوجه به إلى القاهرة لمقابلة أسطورة الأخوان المسلمين، تلك المرأة التى كان طلال الأنصارى يحتفظ بصورها المنشورة فى مجلة القوات المسلحة فى تحقيق دعائى موجه عن قضية الأخوان فى السجن الحربى.. شعر الأنصارى بالهيبة والذهول فقد كان يتصور أن الأبطال الأسطوريين ليس مكانهم فى عالم الناس، بل أنه من المحتم أن يكونوا فى عالم الخلود وفى دار البقاء.. ومن ثم فوجئ أن هذه الأسطورة تعيش دنيا الناس وعلى قيد الحياة، بل أنه سيتمكن من رؤيتها بعينيه.. كان الأنصارى آنذاك قد أكمل عامه العشرين، وكان مثل زملائه من شباب هذا التنظيم المتفرد الذين يستشعرون أن الأقدار تقودهم إلى طريق مرسوم لهم ولا يملكون منه مهربا ...

وفى منزل زينب الغزالى التى رحلت عن عالمنا منذ أسابيع قليلة.. وكان يقبع فى ضاحية هادئة وراقية من ضواحى القاهرة.. مصر الجديدة السبع عمارات.. وقدم الشيخ على هذا الشاب إلى هذه المرأة العلم، وقدمه لها مزكيا له ولتنظيمه، وأنهم جيل الشباب الجدد من الإخوان .

وتتالت زيارات الشباب السكندرى الذين يشكلون عصب هذا التنظيم الجديد إلى زينب الغزالى، وتولى طلال الأنصارى ترتيب وتنظيم هذه الزيارات لأعضاء التنظيم الذين تطلعوا إليها بانبهار وهى تحكى لهم عن ذكرياتها الأليمة داخل أسوار السجن الحربى.. وهى ذات التفاصيل التى روتها بعد ذلك بسنوات فى كتابها

الشهير (أيام من حياتى)،و كانت مجموعات صغيرة من الشباب يتحركون من الأسكندرية فى قطار السادسة صباحاً ليصل بهم إلى القاهرة فى التاسعة، بحيث يدلفون فى حوالى الساعة العاشرة إلى شقة زينب الغزالى الأنيقة فى الدور الأرضى والتى تطل على حديقة جميلة.. وفى الصالون الواسع الطويل والعريض كانت تبدأ لقاءات زينب الغزالى بشباب الإسكندرية وتستمر إلى قرب المغرب، ويجلس الشباب طيلة هذه الساعات مستمعاً مبهوراً بأحاديث زينب الغزالى..

كان ضيوف زينب الغزالى كثيرين، ولا يكاد يخلو بيتها منهم فى أغلب الأوقات.. ألا أنها كانت تحرص على إخفاء هوية شباب الإسكندرية وخاصة الأنصارى الذى اختارت له اسماً كودياً وهو عصام.. ولا يمكن تصنيف لقاءات زينب الغزالى مع هؤلاء الشباب إلا فى باب التحريض السياسى أو الجهادى.. وإلا فما معنى أن تحكى لشباب لم يتجاوز العشرين من عمره عن بشاعة التعذيب التى تعرضت له، وهو ما يستفز كل رجل حتى وان كان لديه أقل القليل من الشهامة والمروءة.. فما بالك بشباب يستعد للجهاد، ويوقن أن من واجباته حماية الإسلام وشرف المسلمات !!،و كانت ترفع يدها إلى السماء وتدعو لهم قائلة : "اللهم إن هذا غرسك فاحرسه"، وكان التحريض يبلغ ذروته عندما تصارحهم بأنها تتمنى أن تعيش لترى بعينيها حركة إسلامية تبدأ التحرك والمواجهة قبل أن تطالها يد الاعتقال والتعذيب كما حدث فى تجربتى ٥٤ و٦٥ .

كانت زينب الغزالى تميل إلى الإعجاب بطلاب كليتى الطب والهندسة، ولذلك فقد كان الأنصارى حريصا على أن يختار لها زوارها من الإسكندرية من طلاب هاتين الكليتين..، وطالما حكت زينب الغزالى للشباب عن تاريخها الطويل فى جمعية السيدات المسلمات التابعة للإخوان المسلمين فى الأربعينات، وعن قصة زواجها من المرحوم الحاج سالم.. وعن دوره فى تسهيل دورها الدعوى داخل الأخوان، وعن تاريخه كرجل من رجالات الصناعة المصرية وقد دمرته حركة يوليو فلم تتحمل صحته محاكمات الأخوان والقبض على امرأته، ففارق الحياة حزيناً مهموماً.. إلا أن أشد ما لفت انتباه الشباب انبهار زينب الغزالى بشخصية الراحل عبد الفتاح إسماعيل الذى حكم عليه بالإعدام مع سيد قطب عام ١٩٦٦..

وكانت تحكى باستمرار عن زيارته لها وكيف عملا معاً فى تنظيم ١٩٦٥ وكانت تعتبر أنه نموذج لما ينبغى أن تكون عليه الحركة الإسلامية والشباب المجاهد !!

وكانت هذه اللقاءات المتكررة سبباً فى أن توثقت الصلات بين طلال الأنصارى وزينب الغزالى، فقد حاز ثقتها، وكانت تدفع له تكاليف سفر شباب التنظيم من الإسكندرية إلى القاهرة، وأعطته من ملابس زوجها المرحوم محمد سالم لتوزيعها على المحتاجين من شباب التنظيم، وكانت تشبهه بالنموذج الذى كان يملأ عينيها وهو الشهيد عبد الفتاح إسماعيل الذى نفذ فيه حكم الإعدام عام ١٩٦٦ مع الشهيد سيد قطب، وكانت تقول له إن من المصادفات أنه يجلس فى بيتها على الكرسى ذاته الذى كان يجلس عليه عبد الفتاح إسماعيل .

وقبل نهاية منتصف عام ١٩٧٢ زالت السكرة وجاءت الفكرة فقد أفاق شباب الإسكندرية من وهج الانبهار بزينب الغزالى وعادت الأسئلة الحائرة المحيرة تؤرق مضجعهم.. وماذا بعد ؟! كان الانبهار قد بلغ مداه حينما خرج من هؤلاء الشباب ــ مثلما حدث من ــ (علاء رضا طالب الطب) و(محمد الأمين عبد الفتاح طالب العلوم وزعيم جماعة التكفير والهجرة فيما بعد) فقالا : لو كانت زينب الغزالى رجلاً لبايعناه .. غير أن الأمور لم يكن لها أن تستقيم أ وتستمر على منوالها هذا، فالشباب متحمس يبحث عن سبيل لفعل يخدم به دينه ولا يجد من يحدد له طريقه، وأيضا زينب الغزالى لم تحدد لهم شيئا مما يريدون وهو ما حدث مع محمد إبراهيم سالم، فضلا عن كونها امرأة لا تجوز لها الولاية.

هكذا وصلت الأمور .. امرأة وجيل من الشباب يبحث عن برنامج وقيادة، ولا يجدهما .. وكالعادة نقل الشباب تساؤلاتهم هذه إلى أبيهم الروحي الشيخ على إسماعيل والذي أكتشف أخيراً أنه قد ضل بهم الطريق، ولم يحقق لهم شيئا مما أرادوه وما أراده هو نفسه لهم، وأنه كان أحرى به منذ البداية أن يختصر الطريق ويتوجه بهم رأساً إلى (الرأس الكبيرة للإخوان) وهو التعبير الذى استخدمه عندما أفضى إليه الشباب بتساؤلاتهم.. لم يفهم الأنصارى هذه العبارة (الرأس الكبيرة) فحتى ذلك الحين لم يكن أحد قد طرح اسم الهضيبى فى أية مناسبة على الرغم من طول اللقاءات مع كل من محمد إبراهيم سالم وزينب الغزالى.

وأصابت الأنصارى حالة من الاندهاش .. إنها الحالة نفسها التى كانت قد أصابته يوم طرح الشيخ على اسم زينب الغزالى.. إن كل ما كان يعرفه الأنصارى عن الهضيبى أنه المرشد الثانى للإخوان بعد مقتل حسن البنا، وأنه أحد الشخصيات الأسطورية للإخوان.. لكنه كان يعرف صورته المنشورة وكانت مملوءة مهابة، فله وجه تعلوه نظارة القراءة القديمة السميكة، وكانت عيناه نفاذتان بقوة، أما وجهه الصغير فانه يأسرك بملامحه الطفولية رغم الشيخوخة الظاهرة فيه.. أجاب الشيخ على تساؤل الأنصارى المتحير: ومن هو (الرأس الكبير) ؟؟ قال : فضيلة المرشد الأستاذ حسن الهضيبى !!

وهنا تبدأ المرحلة الثالثة من هذه العلاقة المباشرة مع جماعة الإخوان المسلمين .. وهذه الأحداث التى مضى عليها ثلث قرن يجهلها جيل الشباب من الأخوان المعاصرين لسبب بسيط أنها حدثت قبيل مولدهم،.. كما يجهلها جيل الوسط من الأخوان أيضاً لسبب أشد بساطة وهو أنهم لم ينضموا أصلاً للإخوان إلا بعد عام ١٩٧٥،.. أما جيل الحرس القديم فهم أيضاً يجهلونها لسبب وحيد وهو أنهم إما كانوا فى السجون أثناء هذه الأحداث، حيث أن قيادات الإخوان الحالية وعلى رأسهم المرشد محمد مهدى عاكف لم يفرج عنهم إلا عام ١٩٧٥بعد انتهاء مجمل هذه الوقائع، حتى أنهم استقبلوا شباب هذه الجماعة عند بداية محنتهم عام ١٩٧٤ فى سجن مزرعة طره فى عنبر رقم ٢، وإما أنهم كانوا خارج الأسوار وقد شملهم التعتيم والحظر الذى فرضه المرشد على هؤلاء الشباب عند ارتباطهم به، حيث كانت تعليماته مشددة بإخفاء الأمر على الأخوان أنفسهم قبل غيرهم.. أقرر هذا رغم أن هؤلاء الشباب لم يتمكنوا من الالتزام الحرفي بهذه التعليمات الغامضة فى حينها لعدم تفهمهم لها !! ولذلك قد يكون هذا الجزء مفاجأة مذهلة للكثيرين.. ولكن آن الأوان لكشف هذه الصفحات المجهولة من تاريخ الحركة الإسلامية المعاصرة.. وآن الأوان لكشف هذه الصفحات المجهولة من تاريخها.. وأيضا آن الأوان لجيل الشباب الحالى أن يعرف الحقيقة كاملة ومجردة من كل هوى، لتكون أمانة فى عنقه يصرِّفها كيف يشاء ، كما أنه آن الأوان ليعرف الناس أقدار أجيال قضت ومضت فى صمت دون ضجيج ، ودون أن يضيرهم أن لا يعرفهم أحد، وإذا

كانت بعض الدول المتقدمة تكشف عن وثائقها بعد مرور الحدث بثلاثين عاماً، فإن هذه الأحداث التى نسطرها قد مضى عليها ما يزيد على ثلث قرن.. وإذا كان ورع كثيرين ممن صنعوا هذه الأحداث قد منعنهم من روايتها تعففاً وإيثاراً للثواب العظيم من رب العالمين، وإبعادا لشبهة المتاجرة بلحظات صدق نادرة فى حياتهم، فإن التاريخ والأجيال لن يرحما الصامتين الذين ماتوا وماتت معهم أسرار لحظات تاريخية صنعت أحداثاً عظيمة فيما بعد، وقد يظل مؤرخوها يتخبطون فى السعى الطويل لمعرفة حقائقها الخافية .

فى الطريق من الإسكندرية إلى القاهرة وفى قطار الفقراء الذى يتحرك فى الصباح الباكر كانت الناس تعجب لهذا الرجل ذى اللحية الكثة بملابس أزهرية متواضعة وهو يحادث شاباً حديث السن بصوت جهورى مسموع ــ غير آبه بمن حوله ــ عن تاريخ الأخوان المجيد، وسيرتهم الطيبة وفضلهم، والأنصارى منزعج لهذه الطبيعة التلقائية لرجل صالح من الأخوان لم يقدروه حق قدره، ولم يبلغ المكانة التنظيمية التى يستحقها فى داخل الجماعة ٠

وفى حى المنيل بالروضة وأمام مسجد الروضة والميدان الفسيح كان يقطن المرشد الهضيبى فى عمارة تطل على الميدان مباشرة حتى انك تستطيع أن ترى المسجد والميدان من الشرفة ٠٠ كان الأنصارى يتوجس من أن منزل المرشد لابد حتماً أن يكون محاطاً بسيارات الشرطة ورجال الأمن، وكان يتخيل أن مجرد الاقتراب من البيت فى وضح النهار يعد مخاطره غير مأمونة العواقب، إلا أن الأنصارى فوجئ بأن كل شئ هادئ فى ميدان الروضة، وأن البيت والمنطقة كلها كأنها لا يعنيها من الأمر شئ.. وكأن التاريخ قد غفل عن صاحب هذا البيت الذى تعرفه الدنيا من أقصاها إلى أقصاها..

لاحظ الأنصارى توتراً واضطرابا شديداً باديين على دليله فى هذه الرحلة الشيخ على عبده إسماعيل وهو يصعد درجات السلم بخطوات متسارعة ٠٠مما انعكس عليه أيضا، ولاحظ الأنصارى كذلك أن الشقة الكائنة بجوار السلم للصاعد قد حفرت كلمة (المرشد) على حائطها حفراً ظاهراً، إضافة إلى تعليقات وتوقيعات بأسماء عديد من رجالات الأخوان ٠ دق الشيخ على جرس الباب، فانفتح الباب

بقدر لا يسمح بغير اختلاس النظر بعين واحدة، ووقفت صبية أو طفلة وراء الباب فى حال من الحذر والترقب باديين عليها، وينطقان بما تتالى على هذا البيت من ابتلاءات شملت آل الهضيبى جميعا ٠ وسألها الشيخ على بصوت خافت هامس عما إذا كان الأستاذ موجودا ٠٠ ولم ترد الطفلة – التى كان يبدو أنها خادمة فى البيت – بل أغلقت الباب دون أن تنطق بكلمة،و بعد برهة فتحت الطفلة الباب بقدر لا يسمح إلا بمرور شخص واحد، ودلف الشيخ مباشرة والأنصارى خلفه إلى غرفة الاستقبال٠٠٠ على يسار الداخل ٠٠ لاحظ الأنصارى الصمت الرهيب فى هذا البيت.. جلس الشيخ على جلسة ترقب وتوتر وكأنه مذهول لا ينطق بكلمة ٠٠ وانتقل ذلك إلى رفيقه الأنصارى فصار أشد قلقاً وتوترا.. ومزق هذا الصمت حفيف خيال رقيق يدخل إلى الغرفة ٠٠ فهب الشيخ على واقفاً، ثم انحنى يقبل يد المرشد بينما تنهمر الدموع من عينيه غزيرة، واستمر هذا المشهد دقائق معدودات ٠٠٠ وحين سلم الأنصارى على المرشد كان أشبه بمن أصابه مس من الذهول من هذا المشهد الذى لم يره قبلا ولم يتعوده ٠٠٠ وبعدها جلس المرشد الذى لم ينطق بكلمة واحدة٠٠ وكان الأقرب إليه مقعدا هو الشيخ على الذى راح يلتقط أنفاسه.. ثم انطلق يشرح للمرشد ما فوجئ به فى الإسكندرية من حركة الشباب المتعلق بالإخوان، وقدم إليه الأنصارى لكونه على رأس هؤلاء الشباب، واسترسل يشرح حب هؤلاء الشباب للإخوان وولاءهم لهم وقراءاتهم لأدبياتهم، وانتظارهم لعودة الإخوان إلى الحياة العامة.. سكت الشيخ على فجأة حيث ساد الصمت برهة، وانتبه الأنصارى إلى همس آت من ناحية الشيخ على، لم يفهم منه سوى أمره له : أمدد يدك ٠٠ فتصور أنه يأمره بالمصافحة والسلام ٠٠ فمد يده للمرشد٠٠ فإذا بالمرشد ينتفض واقفاً، ثم يقبض يده بقوة على يد الأنصارى الذى وجد نفسه يردد وراء الشيخ على عبارات البيعة الإخوانية المعروفة : أبايعك على السمع والطاعة فى اليسر والعسر، وفى المنشط والمكره، والله على ما أقول وكيل (أو شهيد فالله أعلم حيث تباعدت السنون)٠٠ وكانت دموع المرشد تنهمر فى صمت نبيل وقد احتضن الأنصارى بقوة ٠٠ فى حين كان الشيخ على يقف متأثراً ودموعه ما تزال تسيل ٠٠٠ لم يدم اللقاء طويلاً، ثم حيث خرج الشيخ على ووراءه الأنصارى...

فيما بعد وعند التحقيقات الأمنية فى قضية الكلية الفنية العسكرية والتى تولاها المقدم ــ حينئذ ــ فؤاد علام ضابط أمن الدولة، وعندما تفجر الدم والأجوبة – كما قال أمل دنقل – علق فؤاد علام على هذا الحدث بقوله أنه مذهول من موقف الهضيبى صاحب التجربة الكبيرة فى تاريخ الإخوان: كيف يقرر بداية تنظيم جديد ويبايع شاباً لم يتجاوز العشرين من عمره ؟!

بهذه البيعة التى فوجئ بها الأنصارى نفسه صار شباب التنظيم الجديد أعضاءً حقيقيين ــ بل قل رسميين ــ فى جماعة الأخوان المسلمين وقد كانوا قبل ذلك أعضاءً غير رسميين.. وانتابت الشباب مشاعر الفرح والفخر.. لأنهم أول شباب فى مصر كلها ينضمون للإخوان المسلمين منذ مأساة ١٩٦٥ .. كما أن شكل هذا الانضمام لم يكن عادياً أو تقليدياً.. فقد كان على يد المرشد الهضيبى نفسه يداً بيد، وأيضاً جاء هذا الانضمام فى وقت كانت كلمة الأخوان تصيب الناس بالرعب، فلم تكن مفردات الناس تعرف كلمات مثل (جماعات إسلامية ولا كلمة متطرفين ولا كلمة جماعة الجهاد ولا غيره..) كانت كلمة الأخوان هى الوحيدة المتداولة يقصد بها العمل الإسلامي الوحيد المضاد للنظام..

انطلق شباب التنظيم فى الإسكندرية يعلنون الخبر وسط التجمعات الإسلامية بالمدينة، وكان رد الفعل الأول صادراً من إخوان الإسكندرية أنفسهم الذين باغتهم الخبر وأحسوا أنهم أخر من يعلم... حتى إن الأنصارى عندما ابلغ أحد أبرز دعاة الإخوان فى الإسكندرية وهو الآن عضو فى مكتب الإرشاد فان هذا العضو أصابه الذهول وانعقد لسانه، وأخذ يتلعثم بعبارات غير مفهومة .

ومن الحق أن نقول إن الأنصارى حينما وضع يده فى يد المرشد الهضيبى لم يكن يدرى أن باب التاريخ قد انفتح فى صفحة جديدة تربطه رسمياً بجماعة الأخوان وبالهضيبي شخصياً.. وأن أحداثاً مصيرية قد كتب له – ولمن معه من الشباب – أن يعيشوها ويرتبط مصيرهم بها أبد العمر.. إلا أنه لم يعرف بالضبط منهجاً ولا هدفاً محدداً لهذا الارتباط.. غير أن بريق الحدث قد شغله عن محتواه..

وكان الشيخ على يروج فى أوساط الأخوان أن هؤلاء الشباب هم الوكيل الشرعى للإخوان، وأنهم – وحدهم – هم شباب الأخوان على الساحة وأنهم هم البوابة الوحيدة لدخول جماعة الأخوان.. وكان لهذا أثره الواضح فى أمرين: *الأول*.. أقبل كثير من الشباب الجدد على الانضمام لتنظيم الشباب لكونه الممثل الشرعى الوحيد للإخوان . *وثانيهما*.. زادت الضغوط على المرشد من ناحية التيار المعتدل الذى كان يرفض أي تحرك ضد النظام، خاصة وقد زادت مخاوف هؤلاء من انضمام حركة شبابية جديدة للإخوان فى هذه المرحلة الحساسة من تاريخهم .

واتصلت لقاءات الأنصارى بالهضيبى فى منزل الأخير، حيث كانت الظروف الأمنية ودواعي الكتمان توجب أن يكون الأنصارى وحده حلقة الوصل بين الشباب وبين مرشدهم حسن الهضيبى، ولم تخرق هذه القاعدة إلا مرتين اضطر الأنصارى فيهما إلى إرسال بعض الشباب إلى الهضيبى كان منهم محمد أحمد حجازي الطالب فى نهائي علوم الإسكندرية آنذاك وأحد مؤسسى هذا التنظيم والداعية المعروف الآن ، وكان الأنصارى قد اضطر لذلك عندما تعرضت علاقة حجازي بالتنظيم لازمة شديدة شعر معها الأنصارى أنه لابد من تمكين حجازي من مقابلة المرشد للحفاظ على ولائه للتنظيم، ولم تكن لقاءات الأنصارى بالمرشد ــ على تعددها ــ كافية أو شافية فى إشباع رغبة الأول فى الإجابة على تساؤلاته الممضة التى لم يجد لها إجابة طوال رحلته الطويلة مع الإخوان سواء مع الشيخ على إسماعيل أو محمد إبراهيم سالم أو زينب الغزالى .. وكان السؤال الملح : وماذا بعد ؟ وإلى متى ؟ وما العمل ؟! ولم يكن فى استطاعة الهضيبى الاقتراب من هذه الموضوعات التى كانت سابقة لأوانها، فقد كانت الظروف الداخلية لدى الأخوان، وأيضا الظروف العامة فى مصر لاتسمحان بغير طرح قضية واحدة : وهى الحفاظ على وحدة الأخوان من الانشقاق والانشطار لحين الإفراج عن قيادات الأخوان التاريخيين الذين كانوا فى السجون آنذاك فضلا عن أن السلطة السياسية فى مصر لم تكن قد تحددت مواقفها بالنسبة للإخوان، كما لم يكن الإخوان قد حددوا موقفهم تجاه النظام ... ولم يكن تنظيم الشباب مدركاً لهذه الحقائق ولا متفهماً لها ولا واعيا بها ..

وكانت لقاءات الأنصارى بالهضيبى تنحصر فى مناقشة قضايا عامة أو تاريخية فعلى سبيل المثال تحدث الهضيبى برضا عن المرحوم الشيخ محمد الغزالى وتحدث عنه بأنه الرجل الطيب.. وتحدث الهضيبى عن ضغوط الأخوان المعتدلين عليه لوقف نشاط الشباب،و تحدث الهضيبى عن إلحاح المرحوم التلمسانى للإدلاء ببعض الأحاديث الصحافية لترطيب العلاقة مع السادات وأن المرشد قد صمم على الرفض،و تحدث عن مخاوفه وقلقه على الشباب إذا تعرضوا لمحنة جديدة، ولذا كان يوصى بالصبر والإيمان. وفى كل مرة كان المرشد يؤكد على ضرورة الكتمان وخاصة عن الأخوان، وفى كل مرة كان الأنصارى يبدو غير متفهم لهذا الأمر وخاصة أن الحظر كان يشمل أسماء كبيرة فى الأخوان.. وكان الأنصارى يبدو متحرجاً من القول بأن هذه التعليمات خرقت قبل أن تصدر أصلاً لأن الموضوع قد أشيع فى الأوساط الإسلامية فى الإسكندرية بعد اللقاء الأول مباشرةً.، كما أن الأنصارى عرض على الهضيبى تفاصيل برامج إعداد الشباب والمناهج الثقافية والتربوية والحركية التى كان قد أرساها من قبل محمد بسيونى، وأقرها الهضيبى كما هى..

ورغم كل هذه التطورات إلا أن لقاءات الشباب بكل من زينب الغزالى ومحمد إبراهيم سالم قد استمرت، وان أبدى الأخير انزعاجه الشديد من بيعة الشباب للمرشد الهضيبى حيث بدا له أن ما خطط له من صياغة جديدة لهؤلاء الشباب وجعلهم نواة لما يخطط له من توجه جديد لنفسه قد تعرض للخطر، وان كان لم ييأس وظل يحاول جاهداً أن يكون طرفاً فى هذه العلاقة.. أما زينب الغزالى فبدا وكأنها تعرف حقيقة ما يدور أولا بأول فلم تنزعج ولم تعلق ... فى هذه الأثناء زادت الضغوط على الهضيبى من بعض الإخوان لوضع حد للقاءاته مع الشباب إلى الحد الذى صار معه من الصعب عليه استمرار لقاءاته بالأنصاري على علم من الجميع .. وهنا طلب المرشد من الأنصارى أن يكون أحد قادة الإخوان وهو عبد المتعال الجابرى وسيطا بين تنظيم الشباب وبين المرشد بحيث تكون الاتصالات من خلاله وذلك إلى حين ... وأطاع الأنصارى فعبد المتعال الجابرى أحد رجال الإخوان القدامى المشهورين بالصلابة فى محن الإخوان الشهيرة، وكان أحد أقرب

المقربين للمرشد الهضيبى، ويعمل وكيلا لمدرسة ثانوية للبنات بحلمية الزيتون، وقد توفى الأستاذ عبدا لمتعال الجابرى بعد ذلك بسنوات طويلة فى إحدى الولايات الأمريكية حيث كان مديراً لأحد المراكز الإسلامية هناك . واستمرت لقاءات الجابرى مع مجموعة شباب التنظيم فى الإسكندرية، وكان واضحاً أنه يسير فى اتجاه التهدئة وتخفيض حدة الحماس المشتعل والتحريض..

آنذاك كانت حركة التنظيم قد أوجدت لنفسها مواضع أقدام فى عدد من المحافظات خارج الإسكندرية، وأيضا اتجه التنظيم إلى توجيه شباب من الحاصلين على الثانوية العامة إلى الالتحاق بالكليات العسكرية حيث زادت قاعدته فى هذا الاتجاه،و أيضاً كانت ساحة العمل الإسلامي قد اتسع مداها وازداد روادها بعد أن ظل تنظيم الشباب لسنوات عديدة هو الوحيد خلالها.. فظهرت حركتان منظمتان إحداهما علنية والأخرى سرية إضافة إلى بروز تنظيم الشباب هذا فى شكل علني متزايد، أما الحركة العلنية فكانت بدايات جماعة التكفير والهجرة التى بدا أنها منافس قوى لتنظيم الشباب، وأسسها شكرى مصطفى المهندس الزراعي الذى كان عضو جماعة الإخوان وأحد المعتقلين فى أحداث ٦٦، وقد صار علماً من أعلام الصمود داخل محنة الإخوان فى السجن الحربى وأيضاً لتحوله إلى خارج فكر الإخوان عندما طرح بدايات فكر جماعته بالتشدد فى الأحكام الشرعية تجاه نظام عبد الناصر وجلاديه،و كان شريكاً له الشيخ على إسماعيل فى داخل السجن الحربى فيما سمى وقتها بالتوقف والتبين، عاد الشيخ على إسماعيل إلى حظيرة الأخوان، أما شكرى فقد استكمل طريقه إلى الانعزال، وسعى بعد الإفراج عنه إلى نشر أفكاره فى بلده أسيوط إلا أنه لم يلق قبولا هناك رغم أن أفكاره فى هذه المرحلة لم تكن بالغلو الذى عرف به بعد ذلك، فانتقل إلى الإسكندرية حيث ظهر زعيماً لتيار جديد سمى بجماعة التكفير والهجرة وقد انتشر بسرعة مذهلة، وكان ساعده الأيمن ومسئول تنظيمه فى الإسكندرية المهندس صلاح عبد الصبور نصر الذى تخصص بعد ذلك فى صناعة المشغولات الذهبية وصار خبيرا عالميا معروفا فى هذا المجال ... وكان لابد أن تتماس الجماعتان وتتواجها.. إلا أنهما حققتا نوعاً من الصلة والتفاهم بل الحوار والاقتراب ..غير أن بريق الخلاص القريب

وشعار الهجرة الساحر قد اجتذبا عناصر بارزة فى تنظيم شباب الإخوان منهم خليفة شكرى نفسه محمد الأمين عبد الفتاح وآخرين..، أما التنظيم الثانى الذى لم يظهر على السطح واتسم بالسرية فقد كان تنظيم المرحوم يحيى هاشم رئيس نيابة دكرنس فى حينها والذى قتل برصاص الشرطة عام ١٩٧٥ حيث انتهى هذا التنظيم، وكان من أبرز عناصره اثنان كانا ينتميان أصلا إلى تنظيم شباب الإخوان وكانا من أخلص تلاميذ محمد بسيونى، وعرفا على مستوى الحركة الإسلامية بعد ذلك وهما رفاعى سرور أحد أبرز القيادات الفكرية فى أحداث المنصة، والآخر المهندس محمد نجيب أبو حجازى أحد قيادات الإخوان الآن فى الإسكندرية، والرجلان من أبرز القيادات التاريخية للصحوة الإسلامية المعاصرة .

وفى هذا الخضم كانت زينب الغزالى ترتب أمراً أخر أذهل الأنصارى ولا يزال يمثل حتى الآن علامة استفهام كبيرة ولغزاً يستعصى على الحل.. إنه صالح عبد الله سرية دكتور التربية والأستاذ غير المتفرغ بجامعة عين شمس وأحد المسئولين الكبار فى المنظمة العربية للثقافة والعلوم والتربية التابعة للجامعة العربية وعضو المؤتمر الوطنى الفلسطينى وأحد القادة الفلسطينيين البارزين.. وقبل ذلك أحد قادة الإخوان المسلمين فى العراق!!

الفصل الثالث :

نحن وصالح سرية

كانت زينب الغزالى حريصة كل الحرص على إخفاء هوية الأنصاري أمام ضيوفها الكثيرين ولذا اختارت له اسماً كودياً وهو (عصام)، وهذا يعكس الخلفية العميقة لهذه الحركة التى كانت زينب الغزالى حريصة على كتمانها.. ولم تخرج هى عن هذه القاعدة مطلقاً.. وألزمت نفسها بها ، كانت زينب الغزالى تلتقى بالأنصاري أو بغيره من تنظيمه بميعاد يتفق عليه بينهما فى اتصال تليفوني، وذات مرة وكالعادة تحدد الميعاد، ووصل الأنصاري إلى منزل زينب الغزالى، وعند دخوله فوجئ بوجود ضيف لم يره من قبل قد سبقه إليها..و لم تضيع زينب الغزالى وقتاً وفاجأت الأنصارى بكشف هويته مباشرة لهذا الضيف الغريب !!.. كما عرفت الأنصارى بالطرف الآخر قائلة : الدكتور صالح سريه بجامعة الدول العربية !! كانت زينب الغزالى لا يملأُ عينيها كثير من الرجال، وفى معظم لقاءاتها كان الأنصارى يتعجب من مبادرتها وإدارتها للقاءاتها بضيوفها حيث يستسلم الجميع لقوة شخصيتها وقد رضوا بأن يكونوا مستمعين حيث تكون هى المتحدث الأول والرئيس !! إلا فى هذه المرة حيث فوجئ الأنصارى بها ولأول مره تجلس صامتة مستسلمة راضية ومستمتعة بالاستماع إلى هذا الضيف الجديد الذى بدا واضحاً أنها منبهرة به أيما انبهار !! لم تتكلم هى فى هذا اللقاء اللهم إلا لتشجع الأنصارى على الحديث وتطمئنه إلى ضيفها الغريب الذي تعامل معه الأنصارى بحذرً بالغ، خاصة بعد أن طلبت منه أن يعرف د. صالح بأوضاع تنظيمه وبلا تردد !! تملكت الحيرة الأنصارى وهو يضرب أخماساً فى أسداس، فعلى مدار سنة بأكملها كان هو شخصياً أحد الأسرار الكبيرة لزينب الغزالى، ولم يحدث ولو لمرة واحدة أن كشفت عن شخصيته لأحد، ناهيك عن أن تطلب منه الإفصاح عن أسرار تنظيمه لشخص لا يعرفه ويراه لأول مره ؟! وحدث هذا فجأة ودون سابق إنذار ؟!

كان د.صالح يبتسم وهو يرى الأنصارى حذراً متحرجاً ــ فى بداية الأمر ــ وغير فاهم لما يدور حوله، إلا أن الأنصارى وقد اطمأن فقد شرع فى شرح ما طلبته منه زينب الغزالى، لقد أدرك أن ثمة تفسيراً واحداً لما يقع أمام عينه وهو :أن صالح أحد قادة الأخوان من دولة عربية ما، وقد استنتج ذلك من لهجته غير المصرية، وأن هذا اللقاء تم الإعداد له جيداً، وإن زينب الغزالى عندما كشفت عن

هوية الأنصاري وطلبت منه كشف تنظيمه لصالح فإنها كانت تعرف ما وراء ذلك !!

واستمع دكتور صالح للأوضاع التنظيمية التى فصلها الأنصارى، وبدت عليه علامات الرضا ثم بدأ فى التحدث.. وهنا أدرك الأنصاري سبب انبهار زينب الغزالى بصالح سريه.. ذلك الانبهار الذى لم يحدث لها منذ تنفيذ حكم الإعدام فى عبد الفتاح إسماعيل عام ١٩٦٦، فقد كان صالح صاحب نظرية محددة المعالم ومتكاملة عن أزمة الأخوان المسلمين وسبب عدم قيام دولة إسلامية حتى تاريخه.. وأياً ما كانت رؤيته أو نظريته نختلف معها أو نتفق إ لا أن تحديده للأزمة وتحليله لها ثم تصوره للحل الذى يعرضه بجرأة وثقة ويقين كان يفاجئ ويبهر من يستمع إليه، خاصة وأن ساحة العمل الإسلامي فى مصر كانت تفتقد مثل هذه الرؤية وهذه الشخصية فى الوقت الذى كان يتزايد فيه السؤال الملح وماذا بعد أو ما العمل ؟!، ماذا قال صالح سريه؟! قال : إن الإخوان حركة تحتاج إلى تغيير حقيقى فى الأفكار.. وأول ما يحتاجه الإخوان هو تحديد هدفهم.. وأن الآخرين من أصحاب الفكر السياسي قد تجاوزوا الإخوان وحددوا أهدافهم..و أن الإخوان باعتبارهم حركه سياسية سواء كانت خلفيتها إسلامية أو لم تكن فانه ينبغى لهم أن يكون الوصول إلى السلطة هو هدفهم المحدد، وأنه يستحيل لأي فكر مهما كان أن يتحول إلى واقع وإلى نموذج أو إلى دولة من دون أن تكون السلطة هى السبيل لذلك، وأن الحركات من حولنا فهمت هذا وأدركته : حركه ضباط يوليو، حركة البعثيين، حركه القوميين العرب.. وغيرهم، وأن الجميع يتفق على أن طرق الوصول للسلطة محددة فهى إما بالبرلمان وإما بثورة شعبية وإما عن طريق الجيش، وإن فى دول العالم الثالث المحكومة بنظم عسكرية ديكتاتورية لا مجال للبرلمان والديمقراطية، كما لا مجال للثورات الشعبية نتيجة القهر الذى تتعرض له شعوب هذه البلدان، وبالتالى لا بديل عن حركة الجيش ٠ واستشهد صالح بتجربة حزب إسلامى فى إندونيسيا يدعى حزب ما شومى أوصلته الجماهير بانتخابات حرة إلى أغلبية البرلمان ثم أطاح الجيش بالقصة كلها، كما استشهد صالح على ضرورة حركة الجيش بتجارب عديدة مثل القذافى وناصر وحكام أفريقيا، وقرر صالح أنه يحتاج

لتنفيذ ذلك إلى عدد بسيط من الرجال سماهم (بالبدريين) على مستوى صحابة غزوة بدر، ولا يتعدى تعدادهم ثلاثمائة رجل..، كانت زينب الغزالى تستمع إلى كلمات صالح الصاروخية وهى مبتسمة راضيه منبهرة لا تنطق بكلمة واحدة، أما الأنصاري فكان مذهولاً : أنها أول مرة منذ عام ١٩٦٨ يجد من يعطيه إجابة محددة – أياً كانت – على سؤاله الملح : وماذا نفعل ؟ وماذا بعد ؟ وإلى متى ؟!

لقد مضى أكثر من ثلث قرن على هذا اللقاء، كانت سنواته عامرة بتساؤلات شتى فى محاولة تفسير هذا اللقاء الذى كانت بدايته لغزاً محيراً للأنصاري ورفاقه، كما ظلت أهدافه ومراميه هاجسا يداعب النفس ؟! لكنها جميعا كانت أسئلة مشروعة، مثل : ماذا كانت زينب الغزالى تقصد من وراء هذا اللقاء ؟! وهل كان هذا اللقاء معداً ومرتباً له أم جاء قدرياً ؟!، وهل كان المرشد الهضيبى على علم بهذا اللقاء ؟! وهل تم تنسيق هذا اللقاء وترتيبه بالاتفاق معه ؟! هل كان هذا اللقاء هو بداية عملية تسليم تنظيم شبابى بأكمله على بيعة المرشد شخصياً إلى قائد جديد لهذا التنظيم ؟ أم أن المسألة كلها كانت عفو الخاطر واللحظة ؟!

لكن حقائق ثابتة تطل برأسها وتتحدى عناد كل مؤرخ أو دارس أو كاتب عن هذه الحقبة من تاريخ مصر وتاريخ الحركة الإسلامية المعاصرة بحيث لا يستطيع تجاهلها أو إقصاءها من حساباته، مثل :

أولاً.. إن كل من يعرف زينب الغزالى وتاريخها وعلاقتها القوية والمنضبطة بالمرشد لا بد وأنه يعلم أنها لا تبرم أمراً وخاصة إذا كان خطيراً وحساساً إلا بعلم وإذن المرشد.

ثانياً.. أن زينب الغزالى سبق لها وأن قامت بالربط بين تنظيم شبابى وهو تنظيم عام ١٩٦٥ بقيادة جديدة هى قيادة سيد قطب، وتم هذا بإذن المرشد حسن الهضيبى، حسبما أشارت إلى ذلك كتابات عديدة تؤرخ لأحداث الستينات، منها كتابها " أيام من حياتى " و" البوابة السوداء "لأحمد رائف.

لكن الحقيقة المؤكدة أن زينب الغزالى قد قامت فى نهاية هذا اللقاء بتسليم قيادة الجماعة إلى الدكتور صالح سرية، وأنها سلمته تنظيما شبابيا قويا وقادرا وفاعلا .

كانت الجامعة ملتهبة والطلبة يتظاهرون باستمرار مطالبين بالحسم العسكرى ضد العدو الرابض باستفزاز على ضفاف القناة، وكانت الأمة كلها تغلى وخاصة أن حالة اللاسلم واللاحرب سائدة منذ انتهت حرب الاستنزاف، واهتزت صورة السادات الذى وعد الأمة بالحسم فيما أطلق عليه عام الحسم (١٩٧١ – ١٩٧٢) الذى انتهى دون حسم، وكانت كعكة ميدان التحرير الحجرية تشهد اعتصامات الطلبة المستمرة وتظاهراتهم فى الإسكندرية، كانت المؤتمرات الطلابية وصحف الحائط فى حالة تحريض مستمر ضد النظام، ومنابر مصر والقاهرة تندد بالسادات، والعلماء المجاهدون يقودون حركة الأمة: الشيوخ محمد الغزالى فى مسجد عمرو بن العاص، والشيخ كشك فى دير الملاك، والشيخ محمود عيد فى مسجد السلام، والشيخ المحلاوى فى مسجد سيدى جابر، وكانت هذه التجمعات بؤرا حقيقية للثورة.. فى حين كان تنظيم الشباب قد بدأ يركز على الجانب الدعوى والجماهيري فى حركته سواء داخل الجامعة أو على منابر المساجد أو فى أول معسكرات إسلامية منذ عام ١٩٥٤.

وشارك تنظيم الشباب الإسلامي فى النشاط الطلابى بجامعة الإسكندرية من خلال تواجد واضح ومؤثر فى اللجنة الدينية باتحاد طلاب كلية الهندسة جامعة الإسكندرية تلك الكلية التى كانت حية بانتفاضة طلبتها منذ عام ٦٨، وكان للجماعة فيها خلية سرية من حوالى عشرين طالباً.. وهذا فى عرف العمل السياسى رقم مؤثر للغاية.. وظهر تأثير هذه المشاركة العلنية فى مواقف عديدة منها على سبيل المثال قيام الجماعة بترتيب أول لقاء للشيخ حافظ سلامة بطل المقاومة الشعبية فى السويس بأهالى الإسكندرية فى أحد مدرجات كلية الهندسة، وكان لهذا اللقاء صدى واسع وقتها، ومثال آخر على النشاط العلنى المؤثر للجماعة كان نجاح الجماعة فى إلغاء ومنع حفلين فنيين كبيرين فى كلية الهندسة.. كان الأول حفلا فنيا كبيرا

يستضيف الفنانين فؤاد المهندس وشويكار !! وأما الثانى فكان مهرجاناً فنياً كبيراً أطلق عليه مهرجان الهيبيز !! وكان اتحاد طلاب الكلية قد قام بترتيب هذا اللهو بالتعاون مع إدارة الكلية، ولم تلجأ الجماعة فى إلغاء هذين الاحتفالين إلى إجراءات حادة، بل قامت بخلق رأى عام بين الطلبة يرفض هذه الحفلات وبجمع توقيعاتهم ورفعها إلى إدارة الكلية.. ولقد نجحت الجماعة فى الحفاظ على استقلاليتها داخل الجامعة ولم تسمح لأحد بجرها إلى غير ما تريد، ومثال ذلك هذا الاجتماع الذى عقد فى مبنى اتحاد طلاب الجامعة برئاسة مصطفى جمال رئيس الاتحاد مع مندوبى اللجان الدينية فى كليات الجامعة، وحضر هذا اللقاء الأنصارى وخيرت الشاطر عن كلية الهندسة، كما حضره من كلية العلوم الطالب محمد الأمين عبد الفتاح وانتهى الاجتماع بالفشل بسبب رفض الحضور عن الجماعة تحريض رئيس الاتحاد للطلاب الإسلاميين ضد زملائهم اليساريين والوقيعة بينهما، وذلك لقاء تسهيلات من الاتحاد للجنة الدينية فى المطبوعات والمؤتمرات والتمويل.. وهذا يبين مدى الوعى الذى كانت عليه الجماعة ... وكان مما ساعد على إفشال هذا المخطط وعدم استجابة الإسلاميين له أنهم كانت تربطهم صلات صداقة وزمالة مع قيادات الطلاب اليساريين من أمثال عصام البرعى وتيمور الملوانى وحسنى عبد الرحيم، فضلا عن أنهم لم يكونوا دعاة للماركسية وإنما كانوا يطرحون قضايا وطنية حقيقية تعبر عن هموم الأمة جميعاً مثل تحرير التراب الوطنى، والتصدى لانحرافات النظام وتجاوزاته اجتماعياً وسياسياً، والمطالبة بتحقيق العدالة الاجتماعية، وهذا عين ما اهتمت به الحركة الإسلامية .. ويبدو أن توجه رئيس اتحاد طلاب جامعة الإسكندرية كان بعض توجه عام، فقد حدث الأمر نفسه فى جامعة القاهرة إلا أنه نجح هناك وقام الطلاب الإسلاميون بالاعتداء على الطلاب اليساريين وأوقعوا بهم إصابات شديدة وعديدة فى فتنة غير مسبوقة بين طلاب الجامعة وأبناء الجيل الواحد ..

وأيضا كان للجماعة فضل السبق فى اختراق حاجز المخاوف وإعادة معسكرات الأخوان الشبابية التى كانت قد اختفت منذ عام ١٩٥٤، فبدأت فى تنظيم سلسلة معسكرات إسلامية كان أولها معسكر فى منطقة العجمي بغرب الإسكندرية،

ثم تبعه معسكراً آخر فى ساحة مسجد على ابن أبى طالب بمنطقة سموحة بوسط الإسكندرية، أما المعسكر الثالث فكان فى قلب جامعة الإسكندرية.. وكان لهذه المعسكرات صدى واسع أكد قدرة الجماعة على التجنيد والتنظيم، كما أثبت وشعبيتها وقدرتها على الحركة.

أما عن النشاط الدعوى فقد كان لأفراد الجماعة تواجد واضح فى المساجد تمثل فى عدد من خطبائها المعروفين في مساجد أنصار السنة المحمدية فى الإسكندرية، ومن خلال مشاركتهم فى نشاط جمعيات المساجد صاحبة النشاط المسموع ومن أبرزها جمعية مسجد السلام فى استانلى وجمعية مسجد سيدي جابر بالإضافة إلى جمعية أنصار السنة المحمدية، وكان من هؤلاء الخطباء رفاعى سرور، ووجدى غنيم، والأنصارى، ومحمد أحمد حجازى، ومحمد عبد المجيد، بالإضافة إلى شيخهم جميعا وأستاذهم محمد بسيونى .

لكن اللقاء الذى تم فى رعاية وترتيب زينب الغزالى كان بداية مرحلة جديدة من تاريخ الجماعة.. وكانت أول تعليمات صالح سرية للشباب أنه هو وحده حلقة الوصل بالإخوان، وأنه اعتبارا من هذا التاريخ لابد أن يتوارى أي دور ظاهر للإخوان، كما ينبغى عدم الإعلان عن أى صلة بهم، وتنفيذاً لذلك أعد د. صالح سيناريو درب عليه الأنصارى لتنفيذه عند ظروف التحقيق الأمني بهدف إبعاد الإخوان عن أى صلة بالأحداث المقبلة.. كان السيناريو يهدف إلى إظهار أن معرفة صالح بالأنصاري تمت عن طريق آخر غير طريق الإخوان وزينب الغزالى ... كان البديل الذى رتبه صالح ينص على أن الأنصارى قرأ حديثاً صحفياً أجرته مجلة مصرية مع د. صالح أثناء حضوره جلسات المؤتمر الوطنى الفلسطينى فى القاهرة عام ٦٨، وأنه أعجب به وسعى للقائه فى فندق سكاربيه بالقاهرة، حيث بدأت الصلة بينهما ... ولكن تبين فيما بعد أن هذا السيناريو مبتور وغير محكم وبالتالى لم يصمد أمام قسوة التحقيق، حيث تمكنت التحقيقات وقسوتها من معرفة الحقيقة ودور الإخوان وزينب الغزالى، ولم يصمد هذا السيناريو كثيراً، لأن أحدا لم يستطع إثبات وجود علاقة مع صالح منذ عام ٦٨ وما بعدها ... وحينما استدعيت زينب الغزالى لسماع أقوالها أقرت بحدوث هذه العلاقة الطويلة ولكنها نجحت فى

تبسيط هذه العلاقة وإبعادها عن الشكل التنظيمى ... ومن السهل تفهم حالة زينب الغزالى والتماس الأعذار لها، فقد كانت حريصة على إخفاء دور الإخوان وإنقاذهم من محنة جديدة تهددهم خاصة وقد استيقظت فى الذهن الأحداث المرعبة لآخر محنهم عام ٦٦ . رحمها الله رحمة واسعة وجزاها خير الجزاء عن صبرها وحسن بلائها فى سبيل الله .

ولد صالح سريه بيافا فى فلسطين عام ١٩٣٤ ثم مع أحداث النكبة عام ١٩٤٨ هاجر مع أسرته حيث ا ستقر فى العراق، واستكمل هناك دراساته المدنية والعسكرية والدينية فتحصل على رسالة الدكتوراه فى التربية وكان موضوع الرسالة تعليم العرب داخل إسرائيل، ثم عمل بالجامعة فى بغداد، فى خلال ذلك تحصل صالح على شهادة علوم عسكرية وعين ضابطاً فى الجيش العراقى لفترة طويلة حتى بلغ رتبة الرائد وكان قائداً لمعسكر الرشيد فى قلب بغداد لفترة من الوقت، أيضاً كانت لصالح أنشطة أخرى تؤكد أن حياته القصيرة كانت غنية بالتجارب التى حققت له رصيدا من العلم والثقافة والأنشطة، فلقد تعمقت دراساته الإسلامية وخاصة فى فرعين من فروع العلوم الإسلامية هما الفقه والحديث.. وتعمق صالح فى دراسته الفقهية وكان يفتخر دوما بأنه درس الفقه ليس على المذاهب الأربعة كما هو شائع بل على المذاهب الثمانية، وأما عن علم الحديث فقد رأى صالح النبى (صلى الله عليه وسلم) فى الرؤيا وسأله أن يعلمه الحديث، فدعا له بذلك، ومن يومها وفق صالح سرية فى تعلم الحديث حيث أحبه وبرع فيه بل تخصص فيه وحصله إلى درجة عالية، حتى أنه اقترب من علماء الحديث المعاصرين له وصاحبهم ومن بينهم العالم الأشهر ناصر الدين الألباني. وقد وترك صالح أكثر من مخطوط فى علم الحديث..، أما عن صلة صالح بالإخوان فقد انخرط منذ وصوله إلى العراق فى تنظيم الإخوان حتى صار واحداً من قياداتهم البارزة هناك واحتل مكانه رفيعة بينهم.

كان لصالح سرية نشاط سياسى بارز من خلال انخراطه فى التنظيمات الفلسطينية حتى صار عضواً بالمجلس الوطنى الفلسطينى واقترب من كبار القادة الفلسطينيين مثل أحمد الشقيرى وياسر عرفات وأتاح له ذلك أن يلتقى بعدد كبير من

القيادات السياسية العربية والدولية وبالتالى كان على دراية بالكثير من أسرار وخلفيات السياسات العربية، وكانت لصالح آراء متشددة فى الساحة الفلسطينية ترفض مشاركة الشيوعيين والمسيحيين فى قيادة الحركة الفلسطينية، وكان له أيضاً رأى مبكر فى أن العمل الفلسطينى لن يكون إلا من داخل إسرائيل وأن المقاومة من خارج الأرض المحتلة مقضى عليها بالفشل والحصار فى الدول العربية..

أما فى العراق فقد كان لصالح سريه رأى انفرد به داخل الإخوان وهو ضرورة سعى الحركة إلى وضع يدها على السلطة باستخدام القوة العسكرية، وقام بتحذير الإخوان من أنهم إذا لم ينجزوا ذلك فسيسبقهم إليها الشيوعيون أو البعثيون هذا، وطالبهم بالاعتماد على وجود تمركز لضباط الإخوان فى الجيش العراقى وفى الحرس الجمهوري، ولم يستجب له الإخوان هناك، وحدث ما توقعه صالح وحذر منه الإخوان فقد سبقهم البكر وصدام حسين إلى السلطة بالقوة العسكرية، وقاموا بعمل مجازر ضد الإخوان هناك مما أضطر صالح سرية إلى الهروب من العراق عبر الحدود إلى سوريا، وبعد أن ا ستقر هناك فترة من الزمن انتقل إلى القاهرة حيث استقر به المقام، وتحقق حلمه فى قيادة تنظيم إسلامي، لتكون خاتمة حياته على حبل المشنقة فى القاهرة، وليحقق لنفسه أمنيه لطالما سعى إليها وظهرت فى تعلقه بالآية الكريمة.(وعجلت إليك رب لترضى) وليفتح الطريق ــ من بعده ــ أمام تنظيمات الإسلام السياسى فى مصر !!.

قتل صالح سرية بالإعدام شنقاً وترك وراءه أرمله ترعى تسعة أبناء كان أكبرهم صهيب الذى لم يتجاوز عمره آنذاك الحادية عشر.. ورغم هذا التشدد فى الوسائل الذى عرف عن صالح سرية، إلا أنه كان وسطياً فى عقيدته فكان نموذجاً للفقيه الملتزم، حيث كان حاسماً فى مسألة تكفير الأمة رافضاً لها، وكان يصلى فى المساجد ويشهد بالإسلام لكل من ظهرت عليه أمارات الصلاة وعلامات الإيمان.. إلا أنه كان يعتبر أن الموقف يختلف من الحكام الذين يحكمون بشرائع غربية...

والتحق صالح سرية سريعا بحركة الإخوان المسلمين ــ جماعته الأم ــ بمجرد وصوله إلى القاهرة قادماً من دمشق، وتعددت لقاءاته وتكثفت بقيادات الإخوان: المرشد الهضيبى، محمد إبراهيم سالم، عبد المتعال الجابرى، زينب

أما عن علاقة صالح برجاله من الشباب فتستحق أن يحكى عنها حيث كانت هذه المسألة نقطة الضعف الأساسية فى حياة صالح سرية.. فقد أحب صالح رجاله وتواصل معهم، وصار هذا العمل الذي ربط بينه وبينهم هو كل حياته، وصارت لقاءاته معهم فى القاهرة والإسكندرية وغيرها من المحافظات شاغله الأساسى.. كان الانبهار متبادلاً بين كل من الطرفين فبقدر ما انبهر به الشباب فقد انبهر هو أيضاً بهم، بل صرح بذلك حيث أخبرهم بأنه أوشك على اليأس حتى التقى بهم فعاد الأمل إليه.. لقد كان يرى فيهم ما لم يره فى شباب أى حركة إسلامية قابلهم من قبل: إخلاصاً للفكرة، والتزاماً بالإسلام وغيرة عليه،واستعداداً عالياً للتضحية.. ولم يكن صالح يتعامل معهم بمنطق السمع والطاعة بل بالحوار والمنطق والدليل والإقناع، ولعل هذا بسبب أنه كان يملك مفاتيح الحوار والإقناع.. ولعل هذا أيضا كان أحد مفاتيح الجاذبية عند صالح، ولقد كان يكرر دائما (إننا لا نمتلك سجوناً ولا وسيلة إجبار لأى أحد منا) .. وحين طرح عليه أعضاء الجماعة مسألة البيعة له، رد قائلا : لقد تمت البيعة إلى المرشد وهى سارية ولا محل لبيعة أخرى.

ليس منطقيا القول بأن تاريخ صالح سرية ونزوعه إلى الانقلاب والثورة كان خافياً على الإخوان المسلمين فى مصر !! لقد احتضنه الإخوان فى مصر ورحبوا به !! والأهم من ذلك أن قام الإخوان وفى بيت من أقرب بيوتاتهم – بيت زينب الغزالى – بتقديم تنظيمهم الشبابى الوحيد فى حينها إلى صالح سرية !! هذه نقاط لم يسبق أن طرحت من قبل، لأن أحدا لم يطرح هذه الوقائع الجديدة، ولذا يتعامل الإخوان مع هذه القصة الغريبة بحذر شديد حتى الآن، وقد أخفاها تماماً مؤرخوهم وكتابهم، بل قل أنهم قد تحاشوا جميعاً التعرض لهذه المسألة رغم مرور ثلث قرن عليها !! لكن الحقيقة أنه قد دارت العجلة، وتولى الدكتور صالح عبد الله سرية قيادة أول جهاز سرى بايع الهضيبى شخصياً بعد محنة ٦٥-٦٦ !!

وبوفاة المرشد الثانى والتاريخى للإخوان المرحوم حسن الهضيبى رئيس محكمة الاستئناف الأسبق فى عام ١٩٧٣ وتولى صالح سرية قيادة التنظيم الشبابى الذى بايع الهضيبى شخصياً فى عام ١٩٧٢، فانه قد انقطعت الصلة المباشرة لشباب هذا التنظيم بالإخوان طبقاً لتعليمات صالح بل – حسب ما فصلنا – ووضع

سيناريو غير محكم لإخفاء دورهم عند حدوث أية اعتقالات، وبدأ صالح سرية إعادة هيكلة هذا التنظيم من جديد.

لقد كان أعضاء نيابة أمن الدولة العليا يتهكمون أثناء التحقيقات عام ١٩٧٤ قائلين : إن صالح سرية رجل مغرر به، وهو الضحية الأساسية فى القضية. وهذه المزحة النيابية تستند إلى حقيقة ثابتة وهى أن التنظيم موجود قبل ظهور صالح سرية فى مصر بأكثر من خمس سنوات، أى أنه تسلم تنظيماً كاملاً متكاملاً له قيادة وقواعد تنظيمية ولم يكن له أى دور فى إنشائه أو تأسيسه، وهذا التصحيح التاريخى ضرورى حيث أن كثيرين لم يتنبهوا لهذا، ومنهم على سبيل المثال هيكل فى (خريف الغضب) ورفعت سيد أحمد فى (النبى المسلح) وهالة مصطفى فى (الإسلام السياسى) وعادل حمودة فى (الهجرة إلى العنف وقنابل ومصاحف) ورفعت السعيد فى (المتأسلمون) وسعد الدين إبراهيم فى دراسته الأولى (الحركة الإسلامية فى مصر) ومقالاته المنشورة فى الصحف الأمريكية.

مع بداية عام ١٩٧٣ أسفرت عدة لقاءات متتالية بين صالح وقيادات تنظيمه الشبابى الجديد عن الاستقرار على تقسيم الجماعة إلى ثلاثة تشكيلات رئيسية الأول : تشكيل الإسكندرية المتمثل فى الجماعة الأم ويترأسه د. كامل عبد القادر وطلال الأنصارى . والثانى : تشكيل القاهرة والجيزة ويترأسه حسن هلاوى . والثالث : تشكيل العسكريين ويترأسه صالح سرية شخصيا، وقد انقسم من داخله إلى قسمين : الأول عسكريو الجيش وهؤلاء كانوا تابعين له مباشرة، والثانى طلبة الكليات العسكرية ويترأسه كارم الأناضولى . وأيضا شكل د. صالح مجلساً مصغراً للقيادة مكوناً من الأسماء المذكورة إضافة لطالب هندسة الإسكندرية طلال الأنصاري، وكان هذه المجلس يجتمع بصالح بصفة دورية مرة أو أكثر كل شهر، فيما عدا لقاءات أخرى كان يعقدها صالح مع كل تشكيل على حدة..، ووضع صالح سرية جدولاً زمنياً ينتهى مداه بنهاية عام ١٩٧٥ تكون فيه الجماعة جاهزة للتحرك العسكرى ضد النظام،و حدد صالح سرية هدفه بالانقلاب العسكرى من خلال الجيش، أما المدنيون فدورهم يكون ثانوياً مساعداً.. وحدد علامة اكتمال الاستعدادات بعاملين، الأول : وصول عدد الجماعة إلى ثلاثمائة رجل منتقين بعناية

من بين مئات آخرين أطلق عليهم صالح لقب (بدريين)، وأما العامل الثانى : فهو اكتمال استعدادات كافية من العسكريين، وهذا التحديد ألغى كل نزوع إلى أية عمليات أو صدامات فرعية حيث لا تفجيرات أو صدامات أخرى، وبالتالى أغنى الجماعة عن أية عمليات أو صدامات فرعية وعن أية عمليات استحواذ على أسلحة أو تخزينها.. وفى جميع الحالات التى تحصلت فيها الجماعة على أسلحة نارية كان يتم التخلص منها مباشرة أولاً بأول، وأبقى الدكتور صالح على برامج الجماعة الثقافية والتربوية الرياضية.

عند هذه اللحظة انفصل عن الجماعة أحد مؤسسيها وهو محمد نجيب أبو حجازى وهو من أخلص تلاميذ محمد بسيونى كما أنه الآن شخصية بارزة بين الإخوان فى الإسكندرية ، وكان سبب ذلك أنه لم يرض بالانتظار طويلا كما يريد صالح، ووجد ضالته فى بريق فكرة حرب العصابات التى طرحها يحى هاشم ٠ إلا أنه فيما بعد لعب دورا بارزا فى التقريب بين صالح وهاشم ٠

وبذل صالح سرية محاولات جادة لتوحيد عدد من الفصائل الإسلامية التى بدأت فى الظهور ولذلك التقى صالح بمعظمهم مثل محمد إبراهيم سالم وشكرى مصطفى، ويحيى هاشم وكل منهم كان على رأس تنظيم مستقل.. وأسفرت هذه اللقاءات عن نتائج بالغة الإيجابية إلا أن تسارع وتيرة الأحداث قد حال دون تحقيق النتائج المرجوة.

وقبل عبور الجيش المصرى قناة السويس فى عام ١٩٧٣ كانت الجماعة تشارك بشكل سرى فى كافة أشكال الاستعداد للعمل العسكرى على مستويين، الأول كان شعبياً من خلال المشاركة فى تدريبات ومعسكرات المقاومة الشعبية سواءً فى الجامعة أو خارجها، وكان أبرز هذه المشاركات معسكر المقاومة الشعبية لطلاب جامعة الإسكندرية وقد انعقد هذا المعسكر فى أبى قير وشهده كبار المسئولين فى الدولة مثل الدكتور حافظ غانم الأمين الأول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربى – التنظيم السياسى الوحيد فى مصر وقتها – ووزراء الداخلية (ممدوح سالم) والأعلام (أحمد كمال أبو المجد) ومحافظ الإسكندرية وأمناء الاتحاد الاشتراكي، وغيرهم من المسئولين، وتسببت مشاركة أفراد الجماعة فى اللقاءات

المؤسسة في هذا المعسكر مع كبار المسئولين في جلسات مصارحات حيث كان الرفض لممارسات القضاء والكيل في معركة التحرير وانتقاد سلوكيات الحكم والذي حضر منه أفراد الجماعة كانت كثيرة لإفساد القضاة الحكومية التي مارستها لقيادات المسئولين بالنظام، في هذه المعسكرات وكان هناك مخالفة لتعليمات مصالح تعسم الصداع وقت الإفطار، لكن طبيعة التدين الحاكم على ما حوله كانت تهب القادرة أحيانا.

ونقل من أول التناقضات التي وقفت على السطح بين التكفير وقادته مصالح سرية كانت سبب الصدام الأمني الذي وقع بالتحرك. ومن بين الأسئلة مطروحة الآن: هل أعطى مصالح تنصيبه جنوداً لا زمنياً طويلاً حتى يستطيل لشباب شبكة التنصير والعمالة بعض نفسه قد أنقذه وطاء الانتظار الطويل لخمس سنوات ويأجل لحظة العمل؟ ومن ذلك على مصالح إدراك الحالة التي وصلوا إليها ١٩٩٠ وأيضاً كان ثمة خلاف بين مصالح ورجال حول مفهوم الاختراق: فمن حين كانت المصالح العلاقة والمكلفة تحكمان تفكير مصالح، لم يكن شباب الجماعة كذلك، فقد كان الشباب يرون أن الاختراق في سبيل الله هو العبادة الأساسية التي يجب أن يبذل السعي العاجل لإنجاز بينما كان مصالح يرون أن الشهادة بهذا المعنى وإن هي أثنية ينبغي أن يتحسب المسئول وأن المرصد على إنجاح العمل الإسلامي هو الذي يعطي معنى حقيقياً للاستشهاد، ومع مضي الأيام اتسع الخلاف في اجتماعات مصالح بأسرة القيادة، حيث كانوا جميعاً يختلفون مع مصالح على مسألة العدو الزمني، ويرون أنه ينبغي تجاوز العدو الزمني الذي حدده مصالح، وأنه يزعق القتال ضد اليهود بالإمكانات المتوفرة في أيدي الجماعة لأنهم والذين من نصر الله للمؤمنين ومعتقدين إلى تكفيرهم لبرامجهم وتوجهاتهم - لكن مصالح أصر على خطأ هذه الفكرة لأن الجماعة غير جاهزة للتحرك وأن هذا الموقف يخالف الاتفاق الذي بدأوا به ... وربما رويدا رويدا انسحبت هوة الخلاف، وحاول مصالح جاهداً إقناع الشباب بوجهة نظره وأن المسألة أخطر من أن توضع بيده المسألة، لكن أحداً لم يستمع إليه بل أصر الشباب على موقفهم فقد كانوا مدفوعين بهاجس الخوف الأمني فقد تكونوا مراقبين، لكن مصالح كان يرفض ذلك ويقول: وأيضاً كانوا مدفوعين بضغط

أمنية زينب الغزالى التى تمنت أمامهم أن ترى شبابا مسلما يتحرك قبل أن يحبط .. ووصل الأمر بالشباب إلى حد تحول الموقف إلى تآمر جماعى ضد الدكتور صالح حين رتبوا له لقاءات متعا قبة فى زمن قصير مع بعض الخلايا السرية فى الإسكندرية، تم تنفيذها فى شكل لقاءات بمجموعات منفصلة منهم يتم فيها مواجهته بالموقف نفسه من جميعهم. ولقد كان طلال الأنصاري هو الفاعل والمحرك لذلك كله ... والآن يذكرنى هذا الموقف بما وقع بعد ذلك بسنوات، حين رفض عبود الزمر الموافقة على اقتراح خالد الإسلامبولى الذى عرضه على محمد عبد السلام فرج بتنفيذ حادث المنصة واغتيال السادات، فقد كان موقف عبود هو نفسه موقف صالح سرية، فقد كان يرى أن الهدف هو تغيير نظام بأكمله وليس شخصا واحدا مما يقتضى مزيدا من الإعداد والتجهيز، وقال إن الهدف إسقاط طاغوتية بأكملها وليس طاغوتا بذاته، لكن محمد عبد السلام فرج حسم الخلاف وانحاز إلى رأى خالد الإسلامبولى .. وكأن التاريخ يعيد نفسه .

ولقد كشفت هذه اللقاءات عن ضعف صالح النفسى والوجدانى أمام هؤلاء الشباب، فبدلاً من أن يتخذ قراراً حازماً بتغيير أسرة القيادة وعزلهم جميعاً من مراكزهم القيادية، فانه أبقاهم يحرضون الجميع ضده... وإنني أتساءل : هل كان هذا الموقف ضعفاً من صالح أمام ضغط الشباب عليه أم كان لصالح تصور آخر يخفيه ؟؟.. سيظل هذا السؤال بلا جواب رغم مرور ثلث قرن على هذه الأحداث، إلا أن الثابت أن الضغط تصاعد من جانب الشباب إلى حد أن اتهمه بعض المتحمسين بأن خوفه على أبنائه التسعة يمنعه من اتخاذ القرار بالتحرك، وكان هذا القول قمة الإيذاء لصالح سرية، كما أنه كان على خلاف الحقيقة .

وفى منتصف عام ١٩٧٣ نقل صالح إلى الشباب أخباراً مؤسفة عن علاقات سرية بدأت بين السادات الأمريكيين من خلال قنوات خاصة.. ونقل أيضاً أن السادات يقترب من الأمريكيين ويعرض عليهم التفاهم إرضاء لهم.. وأن مستشار السادات للأمن القومى حافظ إسماعيل أحد هذه القنوات... ولقد أدت هذه الأنباء إلى أن برنامج الدعاية للسادات الذى تتولاه أجهزة الأعلام قد تشوه أمام الشباب، وزاد شعورهم بأنه يتم الإعداد لمسرحية كبرى...

وعندما نشبت حرب رمضان فى أكتوبر عام ١٩٧٣ كان صالح سرية يتابع الموقف على الجبهة السورية ليعود بعدها بقليل وينقل إلى الشباب أخبار تدهور الموقف السورى، وأن القوات الإسرائيلية أحكمت قبضتها على الجولان بعد أن كانت القوات السورية قد تقدمت وعبرت حدود ١٩٦٧، بل إنها كانت قد تقدمت فى الأراضى الفلسطينية عبر حدود ٤٨ وقفز سؤال مطروح أمام أعين الجميع : هل السبب فى ذلك هو تحول فى أوضاع المعارك على الجبهة المصرية مما حول القوة الإسرائيلية ضد السوريين ؟ أم أنها خيانة أحد القادة السوريين الميدانيين والذى ينتمى إلى الطائفة الدرزية كان هو سبب تدهور موقف القوات السورية !! لكن تطورات الحرب وما تبعها من وقف إطلاق النار ومحاصرة الجيش الثالث الميدانى، واحتلال إسرائيل لهضبة الجولان السورية، ثم ظهور هنرى كيسنجر بدوره المشبوه، ثم مفاوضات الكيلو ١٠١ كل ذلك أشعل مراجل الغضب فى صدور الشباب، وتعجلوا العمل طلبا للشهادة ٠ ذلك لأن من الحقائق إلى لا مراء فيها أن أفراد الجماعة كانوا يشكلون أول تنظيم يعتنق فكرة الجهاد من إقامة الدولة الإسلامية، وهذه الفكرة المبدئية لا بد أن تقود بالضرورة إلى الصدام مع السلطة غير الإسلامية ٠

ومن الحق أيضا أن أقرر أن فكرة الجهاد كانت الفكرة الحاكمة فى عقل التنظيم من قبل اللقاء الأول مع صالح سرية أو التعرف إليه، رغم إقرارنا التام بأن (رسالة الإيمان) التى وضع فيها خلاصة رؤيته كانت أحد الروافد الهامة لفكر الجماعة ٠ إلا أن رسالة الإيمان قد تعرضت لحل إشكاليات فكرية كانت مطروحة فى الساحة الإسلامية وقتها مثل : شرعية العمل داخل مؤسسات تنهج نهجا بعيدا عن الإسلام، وهذه أحلها صالح سرية مستشهدا بقصة سيدنا يوسف عليه السلام حيث كان وزيرا فى نظام حكم غير إسلامي، بل انه طلب هذا المنصب وسعى إليه كما أشارت الآية : " قال اجعلنى على خزائن الأرض إني حفيظ عليم " ٠ والمثال الآخر كان : " وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم الإيمان " ٠ وهكذا كان المضمون العام لرسالة الإيمان يتناول المحاور الفكرية للجماعة والتى وجدها صالح

فأقرها وأكد عليها، وبذلك تكرس دور محمد بسيونى فى إرساء المحاور الفكرية للجماعة، مما عصمها من كل مزالق فكرية هددت مسيرة غيرها من الجماعات .

وتجدر الإشارة هنا إلى خطأ شائع رددته كتابات كثيرة وهو تسمية الجماعة باسم " شباب محمد " فهذا الاسم لا أصل له، ولم تحدث هذه التسمية للجماعة أبدا فى أي مرحلة من مراحلها . وهو خطأ شاع كغيره من الأخطاء التى تكررت فى الكتابات التى لم يكلف منشئوها أنفسهم عناء التحرى بحثا عن الحقيقة .

وكانت القاصمة أن أخبرهم صالح باستشهاد بعض ضباط التنظيم على الجبهة المصرية فى النصف الأخير من مارس عام ١٩٧٣، فازدادت مخاوفهم من أن تهلك قواهم قبل تحقيق الأهداف .... ووسط ذلك كله فاجأ صالح رجاله بأنه أخذ قرار التحرك استجابة لإلحاحهم وضغطهم المتزايدين حيث بدأ العد التنازلى للأحداث..

آنذاك كان الواقع التنظيمي للجماعة كالآتي :

أولا : المجموعات عددها أربعة، هى :

١ ــ مجموعة العسكريين : وهؤلاء يتبعون صالح مباشرة .

٢ ــ مجموعة القاهرة والجيزة : على رأسها حسن الهلاوى، ويقدر عددهم بحوالى خمسين فردا، وهؤلاء كان دورهم ثانويا فى الأحداث حتى انه لم يصدر حكم ضد أحدهم جميعا فى القضية الأولى عام ١٩٧٤ ولكن برز دورهم بعد ذلك فى القضية الثانية عام ١٩٧٧ وهى قضية الفنية العسكرية الثانية وعرفت فى أوراق النيابة العامة بقضية الجهاد الأولى . كما برز دور بعضهم فى القضية الثالثة للفنية العسكرية عام ١٩٧٩ حيث كان قائدهم الدكتور مصطفى يسرى، لكن النيابة العامة حفظت هذه القضية .

٣ ــ مجموعة الكليات العسكرية : وكان أبرزها مجموعة الكلية الفنية العسكرية، وهؤلاء كان عددهم حوالى ثلاثين طالبا فى الكلية على رأسهم كارم

الأناضولي، ومعه أسماء بارزة من قدامى طلبة الكلية، مثل : سعد در بالة، أحمد صالح، محمود العمراوى، محمد شاكر .

٤ ــ مجموعة الإسكندرية : وهى المجموعة الأم التى تشمل المدينة والوجه البحرى، وعددها حوالى المائة، وهؤلاء كانوا مقسمين إلى مجموعات تقسيما جغرافيا وجامعيا، وكان على رأسها طلال الأنصارى وكامل عبد القادر، أما أمراء المجموعات فمن أبرزهم : محمد الباشا بكلية الطب، ومحمد سليم بكلية الهندسة، ومحمد عمارة بكلية العلوم، ومصطفى خالد لمجموعة المدارس الثانوية، ومحمود فراج لمجموعة كرموز .

والى جانب أمراء المجموعات تميزت أسماء أخرى بأنشطة حركية مؤثرة، مثل : محمد على خليفة، وهانى الفرنوانى، ومحمود عادل فرج البلبيسى الشهير بعمر، ومحمد السيد جاد الكريم، وطلعت عباس.

ويجدر القول إن هؤلاء الشباب من أعضاء الجماعة هم من المتفوقين علميا فهم من طلاب كليات القمة مثل الطب والهندسة والعلوم، والمدارس الثانوية المتميزة التى أهلتهم لهذه الكليات مثل الكلية الفنية العسكرية التى كان طلابها من الحاصلين على المجاميع العالية فى امتحانات الثانوية العامة وهؤلاء فى جملتهم ينتمون إلى الطبقة الوسطى التى هى العمود الفقري للمجتمع وهى التى صنعت تاريخ مصر الحديث وهى التى تشكلت منها الحركة الوطنية وكان دورها دائما متميزا فى الحفاظ على القيم والتقاليد الاجتماعية فضلا عن التمسك بالقيم العليا مثل القيم الدينية وقيمة العلم .

كما شملت عضوية الجماعة عددا من الموظفين وأصحاب الحرف وهؤلاء كان لديهم نصيب متفاوت من التعليم فضلا عن تعلق بالقيم ورغبة جارفة فى الالتحاق بركب السالكين إلى الله .

أما عن مالية الجماعة فقد اعتمدت بشكل أساسى على الاشتراكات الشهرية للأعضاء، التى لم تتجاوز خمسين قرشا شهريا، وكان ذلك مبلغا غير بسيط حيث كانت الجريدة بقرش صاغ . وأيضا كانت تبرعات الأعضاء موردا إضافيا . أما

التحركات ذات التكاليف مثل السفر إلى القاهرة فقد كانت تتحملها زينب الغزالى حيث كان سعر التذكرة ستون قرشا ٠

وهذا البناء التنظيمى قام على أساس من نصائح وتوجيهات محمد بسيونى منذ عام ١٩٦٨ واستمر كذلك بعد أن اعتكف محمد بسيونى عام ١٩٧٠ ثم تسلم صالح هذا التنظيم بحالته هذه عام ١٩٧٣ ولم يعدل من النظام الداخلى فى عملية إعادة الهيكلة التى أجراها وظلت البرامج الثقافية والتربوية والحركية ونظام الاشتراكات كما هو دون تغيير ٠

وتجدر الإشارة هنا إلى قصة الكتيب التنظيمى بعنوان " الأوضاع الداخلية للتنظيم " الذى تم تحريزه فى القضية، وسئل عنه كامل عبد القادر فقال انه أخذه من الأنصارى، والذى قرر بدوره أنه تسلمه من الدكتور صالح الذى أقر بهذا ٠ والحقيقة الخافية فى هذا الأمر إلى اليوم أن هذا الكتيب متعلق بتنظيمين وقتها هما جماعة الإخوان المسلمين وتنظيم يحي هاشم، لكن قادة تنظيم الشباب قاموا بوعى ودون تنسيق بحماية هذين التنظيمين ونسبوا هذا الكتيب إلى ثلاثتهم، حتى لا يزجوا بضحايا جدد فى القضية ٠ أما تفصيل الحقيقة فهي أن محمد سالم عضو الإخوان النشط سلم هذا الكتيب إلى محمد حجازي الشهير بحجازي الصغير قبل تحوله إلى تنظيم يحي هاشم وقد سلمه بدوره إلى كامل عبد القادر لتفيد منه الجماعة ٠

ولعل من أدلة هذا البناء التنظيمى على نحو شديد التماسك أن عدد المعتقلين من أفراد الجماعة لم يصل إلي ثلث عددها، حيث نجح قادتها فى كتمان البنية الأصلية للجماعة وحفظها بعيدا العيون، وبلغ تماسكهم أن حافظوا على ما لديهم من أسرار التجمعات الأخرى مثل جماعة الإخوان المسلمين وتنظيم يحي هاشم ومجموعة الدكتور إبراهيم الزعفراني التي كانت نشطة فى مجال الدعوة بالإسكندرية ولم يدلوا عليهم ٠ ونضيف أن مقارنة يسيرة بين حجم الخسارة التى أصابت بنيان الحركة الإسلامية فى هذه القضية، والخسارة التى تحققت فى القضية السابقة عليها وهى قضية الإخوان عام ٦٦، والقضية التالية عليها مباشرة وهى قضية خطف الشيخ الذهبى لجماعة التكفير والهجرة عام ٧٧، فإنها تبين إن هذه القضية كانت الخسائر فيها محدودة ٠

كما أن السلبيات التى ظهرت أثناء التحقيقات والمحاكمات فى القضيتين المشار إليهما فى المقارنة كانت أقل حدة فى هذه القضية .

الفصل الرابع :

التنفيذ.. والمحنة

عقد اجتماع لأسرة القيادة المكونة من الدكتور صالح وكارم الأناضولى وكامل عبد القادر وحسن هلاوى والأنصارى، حيث أبلغهم صالح بخطة التنفيذ وهى : عند عودة السادات الذى كان آنذاك فى زيارة ليوغسلافيا حيث سيكون فى استقباله فى المطار كبار المسئولين والقيادات فى الدولة، وستكون هذه هى ساعة الصفر، ولذا فانه يحسن أن يستعد الجميع لذلك، وأول هذه الاستعدادات أن توضع كروكيات تفصيلية لمنطقة المطار أمامنا، وعلى ذلك تم فى هذا الاجتماع تكليف مجموعة القاهرة والجيزة بقيادة حسن هلاوى بإعداد هذه الكروكيات لتكون جاهزة فى اجتماع قريب تم الاتفاق عليه، وفى الاجتماع التالى فوجئ الجميع بعدم تنفيذ مجموعة القاهرة لما اتفق عليه من إعداد الكروكيات ووسط ذهول الباقين ألغى موضوع المطار !!

ولأن مجموعة الإسكندرية وهى المجموعة الأم كانت من أكثر المجموعات تنفيذاً والتزاما ببرنامج الإعداد الحركى للجماعة، وقد حقق شبابها تقدماً ملحوظاً فى هذا المجال حتى أنهم تدربوا على جمع معلومات دقيقة عن أخطر الأماكن الرسمية وأكثرها حساسية فى القاهرة والإسكندرية، فقد كلفهم صالح سرية بإعداد بيانات تفصيلية عن مكانين من المحتمل أن يكون أحدهما مكاناً يختاره السادات لأول اجتماع قادم له يذاع على الهواء، كان هذان الموقعان هما مبنى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربى – الحزب السياسى الوحيد وقتها – والذى يقع على النيل بجوار مبنى التليفزيون، والثانى كان مجلس الشعب.. وعلى الفور وصلت إلى القاهرة مجموعة سكندرية من ستة أفراد كلهم طلاب جامعيون هم محمد على خليفة ومحمد السيد جاد الكريم من كليات الطب، ومحمود عادل فرج البلبيسى الشهير بعمر وهانى الفرنوانى وطلعت عباس من كلية الهندسة ومحمد عمارة من كلية العلوم بجامعة الإسكندرية، حيث أقاموا فى القاهرة مدة خمسة أيام، أتموا فيها إنجاز المطلوب وأعدوا كروكيات تفصيلية للموقعين، وقام مسئول المجموعة عمر البلبيسى بتسليم هذه الكروكيات إلى الدكتور صالح، وتهيأ جميعنا فى انتظار الإعلان عن أول اجتماع للسادات..

ولم يمض وقت طويل حتى أعلنت أجهزة الإعلام عن مؤتمر للسادات لمناقشة ما أسماه بورقة أكتوبر فى ١٩٧٤/٤/١٩ الموافق الأربعاء وذلك فى مبنى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربى على النيل.. وكان هذا هو ميعاد التحرك.

جاء ذلك فى وقت كانت مشاعر الكراهية للسادات ونظام حكمه متزايدة لسببين، الأول : يقين متزايد لدى التيار الإسلامي عموماً والجماعة بشكل خاص بأن الإسلام قضية بعيدة عن توجهات السادات ٠ وثانيهما : اقتراب السادات المتزايد من أمريكا واكتشاف أن حرب رمضان كانت مجرد تحريك للأوضاع العسكرية تمهيداً لما بعدها من سياسات التحالف مع أمريكا وليست حرب تحرير، وأن ماحدث على ضفتى القناة هو إهدار للعسكرية المصرية، إضافة لاستمرار التفسخ الاجتماعي والسياسى فى المجتمع المصرى.. لذلك كانت الجماعة مهيأة للتحرك ضد السادات..

لكن ما لا يعلمه كثيرون حتى الآن هو كيف دخلت الكلية الفنية العسكرية ضمن خطة التحرك، ذلك لأنها لم تكن ضمن الخطة، ولم يسبق أن وردت فى كل تصورات الجماعة، بل إنها أضيفت إلى الخطة قبل التحرك بيومين فقط ٠٠٠ ولا ندرى كيف نجح كارم الأناضولى فى إقناع صالح سرية بهذا الدور للكلية ؟! لكن الذى نعرفه هو أنه بعد أن قامت مجموعة الإسكندرية بتقديم كارم الأناضولى إلى صالح سرية فقد صارت العلاقة بينهما مباشرة، بل تطورت إلى أن حدث تقارب شديد بينهما، وسهل من ذلك كون الاثنين فى القاهرة.. وبالتالى لم يعرف أحد بقرار إدخال الكلية فى الخطة سواهما.. رغم أنه كان مفهوماً لدى الجميع أن العبء الأساسى فى التحرك سيقع على كاهل العسكريين، وهؤلاء صاروا تابعين لصالح مباشرة منذ قراره بإعادة هيكلة الجماعة ٠ ٠٠ لكن الذى حدث أن كارم الأناضولى أبلغ كامل عبد القادر مسئول جماعة الإسكندرية فى مساء يوم الاثنين أى قبل التحرك بيومين، بخبر إدخال الكلية الفنية العسكرية فى خطة التحرك، واندهش كامل عبد القادر وهو يرى دوره هو ورجاله محدداً لهم من جهة غير صالح المسئول عن العسكريين ، ولم يعرف سبب إدخال الكلية الفنية العسكرية على خط

الأحداث، ونقل دهشته هذه إلى رجاله، ولكن لم يكن أحد مستعداً للتراجع أو التوقف، فقد كان الجميع يشعرون أن القطار قد وصل إلى محطته الأخيرة. لكن كامل عبد القادر تسلم كروكيات رسومات موقع الكلية الفنية التى كان قد رسمها أحمد صالح ثم أرسلها معه كارم من القاهرة ٠ وقد تبادل الأنصارى وكامل الدهشة من إدخال الكلية الفنية ضمن الخطة ، فقد كان مفهوما أن التحرك المباشر سيتم من الضباط العسكريين انطلاقا من معسكراتهم وليس غيرهم ٠ وفكرا فى استيضاح الأمر من صالح، ولكن هل يكون ذلك سببا فى عرقلة دوران العجلة التى طال انتظارهما لها منذ عام ١٩٦٨؟، فاستسلما فى النهاية وتركا الأمر للقدر ٠

وسافر الأنصارى إلى القاهرة على عجل للقاء كارم الأناضولى الذى كانت تربطه به أشد الصلات حميمية ومودة ولم يفرق بينهما إلا حبل المشنقة الذى تسابقا إليه ، وتم اللقاء على بوابة الكلية الفنية، واستفسر الأنصارى من كارم عن موضوع إدخال الكلية فى الخطة، لكنه لم يلق إجابة شافية، إلا الذى وقع بينهما فى هذا اللقاء : أن كارم قام بتسليم طلال مبلغا من المال كان كل ما يمتلكه وصحبه لعدم الحاجة إليه حيث إن العملية ستتم غدا وأن الاحتمال الأكبر هو الاستشهاد ٠ وأيضا اتفق الاثنان على كلمة السر حيث اختار طلال الله والجنة، واختار كارم النصر مع الصبر، ومنهما كانت كلمة السر التى تعرض بسببها الأنصارى لضغوط شديدة أثناء التحقيقات ليقر بنسبتها إلى القذافى٠

وقامت جماعة الإسكندرية بتنظيم تحرك جماعى لعشرات من أفرادها من الإسكندرية إلى القاهرة لقياس قدرتها التنظيمية على الحشد والتحرك، وسافر حوالى سبعين فردا فى قطار الصباح الباكر إلى القاهرة، واتجهوا إلى ميدان العباسية، حيث كان صالح والأنصارى فى انتظارهم ٠ وبعد اكتمال التجمع أمرهم صالح بالعودة إلى الإسكندرية والحضور ثانية غدا، وهنا أدرك الشباب أن العمل غدا، لكنه كان قد آثر كامل والأنصارى بساعة الصفر ٠

وأعد صالح سرية بيانا كان يفترض أنه البيان الأول للانقلاب، وقد صيغ بعبارات عامة لا تكشف هوية القائمين بالحركة، حيث يدعو البيان إلى إصلاحات عامة فى كافة المجالات دون تحديد، وكان صالح يهدف بذلك إلى طمأنة الجميع فى

الداخل والخارج إلى حين تشكيل جيش شعبى إسلامي، اختار له صالح لفظ (ميليشيا إسلامية) تضم جميع أنصار الإسلام ومحبيه.. وتكون قادرة على حماية الدولة الوليدة، وكانت الخطة فى مجملها تقضى بقيام العسكريين فى الجماعة بالتحرك من معسكراتهم القريبة ومهاجمة مقر اجتماع السادات فى مبنى الاتحاد الاشتراكى، وإعلان البيان الأول من ذات المكان واعتقال كل حضور الاجتماع تمهيداً لمحاكمتهم..

لكن ذكر بيان صالح سرية الأول يدعونا إلى التذكرة بأنه قد ترك مخطوطا كبيرا فى علم الحديث، كما ترك المذكرة التى قدمها للمرشد حسن الهضيبى عام ١٩٧٢ يقترح فيها تحولات جذرية فى خطط ومستقبل جماعة الإخوان، وهذه المذكرة أشارت إليها زينب الغزالى فى شهادتها على الأحداث، وأيضا رسالة الإيمان التي طبعها اتحاد طلاب الجمهورية عدة طبعات فى أواخر السبعينات . هذه كل آثار صالح الفكرية فى مصر.

ولعل من فتاواه الشهيرة التى صارت أساسا فقهيا استند إليه الجهاديون فى مختلف البقاع الإسلامية، فتوى التترس، وكانت بشأن سؤاله عن حرمة قتل الجنود عند الصدام مع الأنظمة، فاستند إلى قاعدة التترس ومؤداها أن هؤلاء الجنود يقتلون ويبعثون على نياتهم إذا كان تترسهم حائلا دون قيام الدولة الإسلامية .

وصلت مجموعات الشباب من الإسكندرية إلى القاهرة، وقام د.كامل عبد القادر بشرح أول الأدوار الموكولة إليهم، واتجهوا إلى الكلية سيرا على الأقدام ، ولكن تسلل اثنان منهم لإبلاغ السلطات الرسمية بما لديهم من معلومات... وليس هناك ما يدل حتى الآن على أنهما كانا مدسوسين داخل الجماعة، بل من المؤكد أن موقفهما جاء نتيجة انهيار مفاجئ لكل منهما ودون ترتيب بينهما، وقد توجه أحدهما إلى مبنى وزارة الداخلية، فى حين توجه الثانى إلى رئاسة الجمهورية، وعندما أدليا بمعلوماتهما تشكك المسئولون فى صحة ما أدليا به، إضافة إلى البيروقراطية المعروفة عن هذه الأجهزة ...ورغم هذا فعند فجر الأربعاء كانت حشود قوات عديدة تحاصر مبنى الكلية الفنية العسكرية ! قوات الأمن المركزي والصاعقة والحرس الجمهورى وكتيبة الحراسة للكلية.. وحيث أن كل هؤلاء كانوا جاهلين

بطبيعة مهمتهم لأنهم ينتظرون مجهولا، إضافة إلى الظلام الدامس الذى يحيط بأسوار الكلية، فقد تبادل الجميع إطلاق النار دون تمييز ... أما عن الجماعة فقد وجد قرابة خمسة عشر رجلاً منهم أنفسهم وسط معركة حقيقية تدور رحاها بين مختلف القوات وهم ليسوا طرفاً فيها وأبعد ما يكونون عنها ... فلا سلاح معهم ولا ذخيرة بل أنهم طلبة جامعيون لا يكادون يعرفون شيئاً عن استخدام الأسلحة النارية بالقياس إلى هذه القوات ... لذا كانت النتيجة مأساوية حيث سقط ثلاثة عشر قتيلاً ستة من أفراد الجماعة وسبعة من العسكر إضافة إلى ما يزيد عن ستين جريحاً من الطرفين.. ...وعند بدء إطلاق النار كانت تعليمات صالح سرية إلى الأنصارى واضحة تماما بضرورة إلغاء العملية وإعادة الشباب إلى الإسكندرية مرة أخرى فورا . فى حين كان هناك حوالى خمسة عشر فردا من أفراد المجموعة محصورين بين القوات المشتبكة، وهؤلاء تم القبض عليهم مع زملائهم من طلبة الكلية أعضاء التنظيم الذين كانوا قد بذلوا جهدا كبيرا للعثور عليهم داخل الكلية وإخفائهم بينهم فى مشاهد إنسانية مؤثرة ... أما باقى المشاركين من أبناء الإسكندرية فقد عادوا إليها بقيادة كامل وعمر والأنصاري .

هكذا كانت تعليمات صالح بإلغاء العملية برمتها مبررة ومفهومة، لأن إطلاق النيران وتواجد القوات بهذا الشكل الكثيف يعنى كشف الخطة واستحالة التنفيذ، وبالتالي تحول الهدف إلى الحرص على حماية الجماعة وتقليل الخسائر والكمون والاختفاء بهدف إعادة الترتيب وإعادة النظر فى أمور كثيرة . ولتبدأ بذلك محنة الجماعة .

اتجه أعضاء التنظيم كل إلى بيته، أما أعضاء الإسكندرية فقد اتجهوا إلى محطة السكة الحديد فجر يوم الخميس ٤/١٩ واستقلوا أول قطار صادفهم إلى الإسكندرية ليتجه كل منهم إلى بيته بعد ليلتين داميتين .

أما الأنصارى فقد رتب لقاء مع عمر ومحمد على خليفة ليسلمهم قيادة مجموعة الإسكندرية تحسبا لما هو آت، بعد أن سيطرت عليه فكرة أن مكانه الطبيعي بين زملائه المقبوض عليهم والذين يفترض أنهم يتعرضون لتعذيب شديد

فى هذه الساعات ٠ وراح يتخلص من كل الأوراق التى فى بيته، وجلس ينتظر مقدم رجال الأمن للقبض عليه ٠

وتم القبض على الأنصارى فى فجر الجمعة ٤/٢٠ ، وتم استجوابه فى الإسكندرية قبل ترحيله إلى القاهرة فى مساء اليوم نفسه، وتفاجأ هناك بأن الذين سلمهما قيادة المجموعة فى الإسكندرية قد سبقاه إلى الاعتقال، وليبدأ دوران العجلة الرهيبة من التحقيقات والتعذيب ٠

أصدرت النيابة العامة بيانا يوم ٧٤/٤/٢٤ نشرته الصحف فى اليوم التالى جاء فيه إن رئيس التنظيم درس مع أعضائه الخطة الكاملة للاستيلاء على الحكم خلال اجتماعات متتالية جرت أيام ١٢، ١٥، ١٦ من إبريل الحالى حيث تم خلالها وضع الخطة الكاملة لتنفيذ ما استهدفه التنظيم من الاستيلاء على مقاليد الحكم فى البلاد ٠ وتقوم هذه الخطة على أن يتجمع أعضاء التنظيم من الإسكندرية والقاهرة بميدان العباسية مساء الأربعاء ١٧ إبريل، ثم اختيرت منهم مجموعة مكونة من ١٨ فردا تتولى اقتحام مبنى الكلية الفنية العسكرية ليلا بمساعدة من طلبتها المنتمين للتنظيم، والذين اتفق على أن يقوموا بإعطاء إشارة ضوئية لزملائهم فى الخارج إيذانا ببدء الهجوم، وكان سبيلهم فى اقتحام الكلية استعمال السلاح الأبيض وارتداء ملابس عسكرية ٠ وعقب ذلك يقومون بفصل التيار الكهربائي عنها للسيطرة عليها، ثم ينضم إليهم باقى أفراد التنظيم الذين كانوا ينتظرون التعليمات فى أماكن قريبة من الكلية ٠ وفى الصباح يتم القبض على ضباط الكلية والاستيلاء منها على أسلحة وسيارات يتحركون بها إلى قاعة اللجنة المركزية حيث اجتماع السيد رئيس الجمهورية بأعضاء اللجنة ومجلس الشعب ٠٠٠ وبعد دخول القاعة يتمكن أفراد التنظيم المسلحون من اعتقال رئيس الجمهورية وكبار المسئولين، ثم يلقى رئيس التنظيم صالح عبد الله سرية عن طريق موجات الإذاعة بيانا يعلن فيه الاستيلاء على مقاليد الحكم والأسس التى يقوم عليها الحكم الجديد والتي تتكون من نقاط عشر صاغها وحررها بخطه ٠

وفى مجال التنفيذ، وبعد أن حانت ساعة الصفر المحددة وأعطيت إشارة البدء به، قامت مجموعة الاقتحام بالقضاء على حارسى البوابة الخلفية للكلية واستولوا

على بندقيتى الحارسين، وتمكنوا بذلك من دخول المبنى وإفساح الطريق لمجموعة أخرى للمشاركة فى التنفيذ، واتجه فريق منهم إلى مخزن سلاح لواء الجنود فى محاولة لاقتحامه، إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك حيث اعترضهم بعض حراس الكلية فى الطريق وحدث اشتباك انتهى إلى مصرع أحد عشر شخصا وإصابة ٢٧ مما أدى إلى فشل خطة المهاجمين وضبطهم ٠ فى الوقت الذى كان بعض طلبة الكلية من أفراد التنظيم قد تمكنوا من الوصول إلى مكان كابينة الإنارة واستطاعوا اقتحامها بعد اعتدائهم على العاملين بها وتوصلوا إلى فصل التيار الكهربائي لفترة من الوقت، وإذ تبين لقائد التنظيم خارج المبنى فشل الهجوم فقد سارع إلى صرف باقى المجموعات ٠

قالت النيابة ذلك على الرغم من أن قرار الاتهام جاء خلوا من توجيه أى اتهام بالقتل إلى أي من أفراد المجموعة، كما إن إطلاق النار وما تبعه من اشتباكات لم يتما إلا مع قدوم جحافل القوات إلى المنطقة وتبادلها إطلاق مع بعضها البعض ٠

ولكن اللافت للنظر أن النظام السياسى شرع منذ اللحظات الأولى فى الكشف عن نيته فى استثمار الحدث سياسيا ضد مخالفيه، فقد نشرت جريدة الأهرام فى صدر صفحتها الأولى فى العدد رقم ٣١٩١٢ يوم ١٩٧٤/٤/٢٥

الآتى : (طبقا لتصريحات مصدر مسئول قريب من التحقيق فقد كشفت التحقيقات أن صالح عبد الله سرية قائد التنظيم قد سافر بالفعل إلى ليبيا بدعوة تلقاها فى يونيو ١٩٧٣ حيث اجتمع بالعقيد القذافى على انفراد ولمدة طويلة وقد اعترف المتهم بأن الهدف من الدعوة كان فى البداية العمل على توحيد المنظمات الفلسطينية إلا أن هذا الهدف تحول إلى بحث إنشاء منظمات فدائية داخل الدول العربية للقيام بأنشطة مشروعة وغير مشروعة) ٠٠٠ ويقول الأنصارى : " هذا كله مخالف للحقيقة، على الرغم من صحة خبر الزيارة، لكن اللقاء كان لقاء فكريا حول علاقة النظم الحاكمة فى المنطقة العربية بالإسلام، حيث اختلف الرجلان، ففى حين تمسك القذافى بأنه نظام حكم إسلامي، فان صالح قد اعترض وقال انك تحكم بضباط لا علاقة لهم بالإسلام، فكيف يطبقون الإسلام وهم يجهلونه ولا يلتزمون به، وضرب

له مثلا بعبارة هل تستطيع أن تطبق النظام الاشتراكي برجال رأسماليين ٠ هذا ما رواه لنا صالح ٠"

ونشرت جريدة أخبار اليوم فى العـــدد رقـــم ١٥٣٨ بتـــاريخ ١٩٧٤/٤/٢٧ موضوعا موسعا فى الصفحتين الأولى والثالثة وزعمت إنها أوردت فيه اعترافات المتهمين. فذكرت : (كان أعضاء التنظيم يقسمون لأمير التنظيم مـــدبر المـــؤامرة بهذا القسم : أبايعك على السمع والطاعة، فى العسر واليسر والمنشط والمكره، والله على ما أقول وكيل وانك على ما أقول شهيد) ٠٠٠ ويؤكد الأنصارى : " هذا كله مخالف للحقيقة ولم يعترف به أحد، وقد سبقت لنا الإشارة إلى أنه لم تحدث بيعـــة لصالح سرية، وأن أعضاء الجماعة سألوه فى ذلك فقرر أن بيعة المرشد سارية ٠ لكن نذكر أن هذا الأمر كان فقط بالنسبة لأعضاء الجماعة القدامى، أما من انـــضم بعد إعادة هيكلة الجماعة فمؤكد أنهم أدوا البيعة " ٠

وفى ١٩٧٤/٧/٢٤ نشرت جريدة الجمهورية فى صدر صفحتها الأولـــى أن قرار الاتهام فى قضية الفنية العسكرية يصدر غدا، وذكرت : (وشمل قرار الاتهام ١٠٣ متهمين وجهت إليهم نيابة أمن الدولة العليا تهما خمسة أهمها :

١ ــ محاولة قلب نظام الحكم بالقوة وتغيير دستور الدولة ٠٠٠

٢ ــ الاشتراك فى تنظيم الغرض منه تحقيق أهداف التهمة الأولى ٠

٣ ــ الاتفاق الجنائي٠٠٠)

لكن قرار الاتهام صدر خاليا من أى ذكر لجماعة الإخوان المسلمين، ولقد كنا جميعا أثناء التحقيقات حريصين على نفى أي صلة بالإخوان لإبعادهم عن الأمـــر كله، لكن التحقيقات توصلت إلى وجود هذه الـــصلة، وكـــان ذكـــرهم واردا فـــى التحقيقات، ورغم هذا أسقطت تهمة الاتفاق الجنائى فجأة واختفى ذكر الإخوان من قرار اتهام النيابة، مما طرح علامات استفهام كثيـــرة، وأطلـــق التخمينـــات عـــن الصفقات ٠

وكانت النيابة قد استمعت إلى شهادات عديدة أثناء التحقيقات، منها شهادة الشيخ محمد الغزالى التى نشرتها جريدة الأهرام فى صدر صفحتها الأولى يوم ٧٤/٥/٣ وجاء فيها (انه نفى معرفته بالمتهم الأول صالح عبد الله سرية ٠٠ وأنه فصل من جماعة الإخوان عام ١٩٥٤ وأن الحادث عمل إجرامي لا يصدر عن مسلم ٠٠ ونفى علمه بوجود تحركات مشبوهة فى مجال الدعوة الإسلامية قبل وقوع الحادث ٠ وقال إن الله أجرى على يدى الرئيس أنور السادات خيرا كثيرا، فانه عبر القناة ليرد للعروبة اعتبارها، ووطد الحريات وفتح بيوتا كانت مغلقة، وأغلق المعتقلات ٠ وقال إن الرئيس أنصفه وأسند إليه منصب مدير عام الدعوة بوزارة الأوقاف كما أمر برفع المصادرة عن الكتب التى ألفها، ورده للإذاعة والتليفزيون بعد أن كان ممنوعا منهما ٠)

وأوردت الصحيفة أيضا شهادة زينب الغزالى فى التحقيقات، فقالت :

(إن زوجها السابق الشيخ حافظ التيجانى كان قد قدم إليها المتهم الأول صالح سرية فى أغسطس ٧١ باعتباره من علماء الحديث، ثم تعدد اللقاء واستضافته عائلتها بمنزلها منذ عامين ونصف ٠ وأنكرت علمها بأن سرية قام بتكوين تنظيم مناهض للإطاحة بنظام الحكم القائم عن طريق القوة، وأضافت أن الأستاذ حسن الهضيبى كان يعتبر الإخوان المسلمين فى حالة هدنة طويلة الأجل مع الرئيس أنور السادات ٠)

(وعن علاقتها بالطالب طلال الأنصارى قالت إنها تعرفت عليه عن طريق الشيخ على عبده إسماعيل الذى قدمه لها بأنه يرغب فى قيامها بتوجيهه للعمل الإسلامى وأنها نصحته بالتعمق فى دراسته ٠٠٠٠ وقالت إن طلال الأنصارى أخبرها منذ عام بأنه استأذن الهضيبى فى القيام بنشاط إسلامى، إلا أنها استوضحت الأمر من الهضيبى الذى نفى ذلك مقررا انه أسدى إليه النصح بمواصلة دروسه، وذكرت أن الشيخ على عبده إسماعيل متهور ولا تعلم شيئا عن نشاطه وأن تقديمه طلال الأنصارى لها نوع من الرعونة، وأنها لم تتقابل معه منذ ستة أشهر ٠

وقالت إن صالح سرية التقى فى منزلها مع طلال الأنصارى وان الأخير سألها فى أحد لقاءاته معها عن عنوان صالح سرية ٠٠٠٠ وقررت أن طلال بعث لها فى أواخر عام ١٩٧٢ بأحد زملائه من طلبة الكلية العسكرية لا تذكر اسمه إلا أنها قامت بطرده، كما حضر لها بعد ذلك طالبان آخران من طرف صالح سرية فنصحتهما بعدم الاشتغال بالسياسة وأن يتفرغا للدراسة ٠٠ وقد أسفر التحقيق مع السيدة زينب الغزالى عن أن كامل محمد عبد القادر من مجموعة الإسكندرية وكارم الأناضولى من مجموعة الكلية الفنية العسكرية هما اللذان توجها إلى السيدة زينب الغزالى بمنزلها)٠

وقد لاحظ طلال الأنصارى على شهادة زينب الغزالى :

١ ــ أنها أقرت بالعلاقة التى تمت فى منزلها وخاصة لقاء ه مع صالح ٠

٢ ــ أنها أقرت بالعلاقة بين الهضيبى والأنصارى ٠

٣ ــ أنها أقرت بالدور الذى قام به على عبده إسماعيل فى تعريفها بالأنصارى ٠

٤ ــ سبقت الإشارة أنه من السهل تفهم تفسيرها المغاير للأحداث حفاظا على جماعة الإخوان، ويكفى أنها لم يتخذ ضدها أى إجراء وعادت إلى بيتها فى اليم نفسه٠

وعقب صدور أحكام الإعدام وقعت أحداث بارزة، فى هذا اليوم حتى أسماه أفراد الجماعة أطول يوم فى تاريخ الجماعة، فقد بدأ مع الفجر وانتهى مع دخول الثلاثة زنازين الإعدام بعد العشاء، فقد كان طبيعيا أن ينفصل صالح وكارم والأنصاري عن بقية زملائهم لينقلوا إلى السجن المخصص لتنفيذ أحكام الإعدام ٠ ورفض ذلك أعضاء الجماعة وتمسكوا بقياداتهم،و أحاطوا بهم فى مشهد عاطفى حماسى. واضطر الأمن إلى السماح لأفراد الجماعة باصطحاب قادتهم إلى سجن مزرعة طره بنية أن ينفردوا بهم هناك بعيدا عن العيون ٠ وتحركت سيارات الترحيلات الخانقة المزدحمة بالمتهمين وحراسهم المقيدين معهم بالسلاسل، وانطلق موكب ضخم تحفه سيارات الحراسة الكثيفة من جانبيه ٠ وشهدت شوارع القاهرة

مشاهد كوميدية تصور سيارات النجدة تجمع القيود الحديدية من الشوارع بعد أن نزعها أعضاء الجماعة وألقوا بها من فتحات السيارات، وهتافاتهم تدوي فى شوارع القاهرة ٠

واقترب الموكب من بوابة السجن، فصدرت الأوامر بالعودة وتوزيع المتهمين على عدد من السجون لفض تجمعهم، فثار أفراد الجماعة وفتحوا أبواب العربات واقتحموا البوابات العتيقة لسجن طره العمومى، ثم اقتحموا بوابة الوسط التى تفصل منطقة المدخل والمكاتب عن منطقة العنابر، وانطلقوا إلى عنبر رقم ١ يتحصنون به وشرعوا فى صنع متاريس أمام العنبر، وكلهم إصرار على ألا يتركوا قادتهم ٠

وتجمع آلاف من جنود الأمن المركزي يحيطون بالعنبر ويتأهبون لاقتحامه، فيما كانت هتافات الجماعة تشق عنان السماء معلنة التحدى والإصرار، والتفت الجميع ليكتشفوا غياب صالح سرية الذى كانت قوات الأمن قد اختطفته إلى سجن الاستئناف، وتنبه الأنصارى وكارم إلى خطورة ما يجرى، فتقدم الأنصارى إلى اللواء مصطفى الشيخ مساعد وزير الداخلية أن يمهله ساعة واحدة لتوديع الشباب، فوافق، وعاد ليصلي العصر مع الجماعة ويودعان الجميع وداعا حارا وتماسك الصديقان يدا بيد واتجها إلى بوابة العنبر ليسلما نفسيهما، ونزعا المتاريس بأيديهما ٠ وما أن فتحت البوابة فتحة صغيرة حتى امتدت أيدى الضباط لتنتزع الجسدين النحيلين وتحملهما كل إلى سيارة فى موكب منفصل ومن طريق مغاير حتى وصلا إلى سجن الاستئناف بعد فترة عاش فيها الأنصارى لحظات كأنها الزلزلة ٠

أدخل الحراس الأنصارى إلى ساحة السجن فوجد رفيقيه صالح وكارم قد سبقاه، ويقفان مقيدين يتوسطان حشدا من الجنود وقد نزعت ملابسهما إلا مما يسترهما، فانطلق يخطب من وحى اللحظة، يشرح قضية الجماعة ويندد بالحراس محقرا من شأنهم وولائهم ٠ وكان كارم ينظر إلى صديق عمره الأنصارى مشفقا عليه، أما صالح فكان يبتسم مشجعا ٠ ثم تقدم الأنصارى وألقى السلام على رفيقيه، وذكر صالح بالآية الكريمة " ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله " فرد صالح : الحمد لله رب العالمين ٠

ونقل الثلاثة إلى الطابق الثانى فى سجن الاستئناف، وألبسوا الملابس الحمراء، ووضع كل منهم فى زنزانة منفصلة متباعدة عن زميليه حتى لا يستخدم الطرق على الحوائط وسيلة اتصال ٠

وظل الأنصارى مع رفيقيه فى غرف الإعدام ينتظرون التصديق على الأحكام لتنفيذها، ولكن خفف حكم إعدام الأنصارى إلى الأشغال الشاقة المؤبدة، استمر بعدها فى مكانه فترة قبل تنفيذ إجراءات نقله من غرفة الإعدام إلى سجن مزرعة طره ٠ آنذاك كان السادات يلتمس أسباب إصدار عفو عن أعضاء الجماعة، فجاء إلى السجن اللواء محمود الغمراوى نائب رئيس جهاز أمن الدولة وطلب مقابلة الثلاثة الذين تشاوروا ثم فوضوا الأنصارى للتحادث نيابة عنهم ٠وكما يقول الأنصارى : " كان اللواء الغمراوى مهذبا وهادئا، قال إن السادات لديه رغبة فى إنهاء الوضع كله وتصفية القضية، وأنه يدرك أن الشباب الذى قام بهذا العمل له دوافعه وظروفه، وأنه يعتبرهم جميعا أبناءه ولكن لا بد من قيامكم بمبادرة إعلامية على الأقل تشجع الرئيس على إصدار قرارات تنهى أوضاعكم فى السجن ٠٠٠ ورد الأنصارى : انه منذ كان عمره ست عشرة سنة وهو يتمنى أن يشنق على نفس آلة الإعدام التى شنق عليها سيد قطب، وأنه قد أوشك أن ينال ما ناله سيد قطب من شرف، وما دامت الفرصة قد واتته فانه مصر على ألا يضيعها ٠ ولما سأله الغمراوى إن كان هذا هو موقف رفيقيه أيضا ؟ أجابه : نعم "٠

ونقل الأنصارى إلى رفيقيه كل ما حدث فاستحسنا رده ووافقاه ٠٠٠٠ لكن الأنصارى يعتقد أن السادات كان صادقا فى رغبته إصدار عفو عن القضية ٠

وبعد مضى أكثر من ثلاثين عاما على صدور أحكام الإعدام فلا يزال عدد من الكاتبين يتحدثون عن أسباب تخفيف حكم الإعدام عن الأنصارى الذي ظلمه كثير ممن تصدوا للكتابة عن هذه الأحداث، ولعل آخر من كتب متجنيا كان أيمن الظواهرى فى كتابه عن تاريخ الحركة الإسلامية المعاصرة، والذي نشرته جريدة الشرق الأوسط التى تصدر فى لندن على عشر حلقات، وذكر فيه أن الأنصارى قدم التماسا أو تنازلا ما للسادات نتج عنه قرار السادات بتخفيف حكم الإعدام عنه ٠

وما ذكره الظواهرى غير صحيح . لكن أمر تخفيف الحكم ارتبط بحقائق كما تعلقت به روايات مثل :

١ ــ روى الأستاذ محمد عبد المنعم الأنصارى لابنه طلال أنه التقى بالرئيس السادات مرتين أولاهما فى بيته فى قريته ميت أبو الكوم، وثانيتهما فى المعمورة بالإسكندرية ضمن وفد من الأدباء، وفى المرتين وعده الرئيس السادات بعدم تنفيذ حكم الإعدام فى ابنه . وهذه حقيقة يعرفها أصدقاء الأستاذ الأنصارى الأب، نسأل الله له الرحمة الواسعة .

٢ ــ وقع ثلاثة من كبار أدباء العربية هم توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وثروت أباظة على رسالة رفعوها إلى الرئيس السادات يلتمسون منه الرأفة بشاعر مصري كبير وتخفيف الحكم عن ولده طلال .وهذه أيضا حقيقة يعرفها أصدقاء الأستاذ الأنصارى جميعا .

٣ ــ روى طلال الأنصارى أن السيدة إيرما هوفمان زوجة أبيه الألمانية قامت بنشاط كبير هناك فخاطبت الصحافة الألمانية وأجهزة الإعلام ومنظمات حقوق الإنسان، كما خاطبت الخارجية المصرية والألمانية، وكل ذلك فى محاولة لمنع تنفيذ حكم الإعدام . خاصة وأنه كان للسادات ولع بالألمان وصلات قديمة .

٤ ــ رواية ثانية لطلال الأنصارى أنه فى مطلع التسعينات حضر الفنان عادل إمام إلى السجن لزيارة صديقه المخرج أحمد يحي الذى كان يقضى عقوبته فى عنبر الجماعة، فقال له انه كان صديقا للشاعر المرحوم عبد المنعم الأنصارى وأنه ناشد الرئيس السادات تخفيف حكم الإعدام عن ولده طلال .

٥ ــ يقول طلال انه عقب حلقات تليفزيونية بثتها قناة اقرأ عن هذا الموضوع، ذكر له شقيقه الأصغر انه شاهد على واقعة قيام الوالد بدفع عشرين ألف جنيه لاثنين من المسئولين القريبين من السادات نظير وساطتهما لتخفيف حكم الإعدام .

وأيا ما تكن الأسباب فان الحقيقة أن طلالا لم يكتب التماسا ولم يقدم ثمنا لتخفيف حكم الإعدام .بل إن الشاعر الأنصارى سجل فى قصائده موقف ابنه

الصامد الرافض لأى مساومة أو تنازل فى عدد من قصائده، ومن ذلك قصيدته (لو) التى كتبها خلال فترة انتظار تنفيذ حكم الإعدام، ومنها :

لـــو أنبئوه بأن دمـــعـــك لا يجـــف عـــن الوسادة

وبأن وجهـــك ضـــارع القسمات لا ينسى سهاده

وبأن قلبك رغـــم طول العـــهـــد لـــــم تســـأم حـــداده

لـــو أنبئوه... فـــربـــمـــا بـــلـــغـــت قـــاتلـــه مـــراده

تبكين من جـــزع عليه ولـــم يزل صلب الإرادة

هو لم يطأطئ رأسه ذل..ا ولـــم يســـلس قـــياده

هيهات يسحـــق روحه الطغيان أو يطوى عناده

لقد كانت مكانة والد الأنصارى الأدبية تسمح بالوصـــول إلـــى كثيـــر مـــن الشخصيات ذات التأثير، وأشهد أن الرجل لم يترك بابا إلا طرقه أملا فى تخفيـــف الحكم عن ولده ٠ وقد روى لى الأنصارى الابن أنه انهار عندما سمع نبأ تخفيـــف الحكم وتخلفه عن تنفيذ حكم الإعدام مع صاحبيه، لكنهما واسياه طوال ثلاثة أيـــام، وكان مما ذكراه له إن إرادة الله شاءت أن يبقى أحدنا على قيد الحياة ليحكى قصتنا للناس ٠٠ وأنه لذلك يروى الآن شهادته

وأخيرا فقد انتهت هذه الأحداث إلا أن أثرها ظل باقياً حتى الآن ولعل ممـــا تجلى فيه هذا الأثر واضحاً :-

أولاً.. ولدت حركة الجهاد من رحم هذه الجماعة، ودليـــل ذلـــك كثيـــر مـــن تصريحات عبود الزمر قائد تنظيم الجهاد يؤكد فيها أن فكر صالح ســـرية وكتابـــه (الإيمان) هما العماد الأساسى لفكر الجهاد ٠ أما من الناحية التنظيمية فمن المؤكـــد أن تنظيم الجهاد الذى ظهر على السطح فى حادث المنصة كان قائده محمـــد عبـــد السلام فرج مؤلف كتاب الفريضة الغائبة وأحد أطـــراف القـــضية الثالثـــة للفنيـــة العسكرية والتى حفظتها النيابة العامة ١٩٧٩ واعتقل فيها عدد وأفلت آخرون منهم محمد عبد السلام فرج ٠ كما أن رفاعى سرور الذى تتلمذ عليـــه مباشـــرة عبـــود

الزمر فهو من الجيل الأول لجماعة الفنية العسكرية وأحد تلاميذ محمد بسيونى القريبين ٠

ثانيا ٠٠ ولدت الحركة السلفية أيضاً من رحم هذه الجماعة.وقد شهد الشيخ محمد إسماعيل أولى خطواته فى الدعوة داخل هذه الجماعة كما حضر معسكر الجماعة فى العجمى عام ١٩٧١ حتى إن أول لقاء دعوى له بالناس كان بهذا المعسكر حيث كلفته قيادة المعسكر بتلخيص وعرض باب من كتاب زاد المعاد لابن القيم، وكان هذا ضمن البرامج التدريبية للمعسكر ٠

ثالثا.. لم تظهر حركة الإخوان بشكل علنى إلا بعد عام ١٩٧٥ أي بعد صدور الأحكام فى هذه القضية وكان العديد من قادتها البارزين من داخل هذه الحركة أو على هامشها أو على الأقل متأثرين بها وفيهم أسماء لامعة تتصدر حركة الأخوان حتى الآن، وجدى غنيم، محمد نجيب أبو حجازى، وحامد الدفراوى.

الفصل الخامس :

مشاهد من داخل المحنة

روى الأنصارى فى شهادته عددا من الوقائع التى جرت خلال رحلته الطويلة منذ بدء تكوين الجماعة عام ١٩٦٨ وحتى نهاية المحنة، وقد اجتزأت منها ما أعرضه فى نقاط :

(١) أراد السادات استثمار القضية للنيل من خصومه والإيقاع بهم فكانت التعليمات لأجهزة التحقيق بالحصول على اعترافات من المتهمين بضلوع كل من حسين الشافعى نائب الرئيس والعقيد القذافى فى محاولة الانقلاب، وتركز الضغط على كل من صالح والأنصارى حيث حاول المحققون عبثاً استنطاق د.صالح عن دور مزعوم لحسين الشافعى فى الأحداث فصمد الرجل صموداً عظيماً وأبى أن يكون شاهد زور وفشلت المحاولة الآثمة، وقد أشار إلى ذلك حسين الشافعى فى شهادته المطولة لقناة الجزيرة عام ١٩٩٩، أما الأنصاري فقد اتجهت التحقيقات معه إلى الإيقاع به والآخرين بتهمة التخابر مع دولة أجنبية وهى ليبيا، وكانت العلاقات بين مصر وليبيا آنذاك فى أسوأ حالاتها، والحرب الإعلامية بين البلدين على أشدها، ولذا ضغطوا على الأنصارى للإقرار بذلك وبأن كلمة السر للحركة وهى "الله والجنة والنصر مع الصبر" قد تلقاها فى لقاء سرى بين الأنصارى والقذافى، وهذه كذبة مفضوحة ليس لها أصل من الصحة، لذلك أبى الأنصارى ولم يقبل . وكانت أجهزة التحقيق ــ تمهيدا لذلك ــ قد تحصلت على اعترافات كاذبة من بعض أفراد الجماعة ــ سواء بالترغيب أ والترهيب ــ بأن الأنصارى كان يغيب لفترات طويلة ثم يظهر منهكاً من آثار سفريات طويلة لا تفسير لها سوى أنها كانت سفريات لخارج البلاد !! ولكن كما فشلت المحاولة مع د.صالح فإنها فشلت أيضاً مع الأنصارى ليؤكد ذلك حقيقة أن قيادات الجماعة كانت واعية ومتماسكة..

(٢) فى عام ١٩٧٨ تعرض الضابط المسئول عن النشاط الإسلامي فى وزارة الداخلية إلى اعتداء من أفراد الجماعة داخل عنبر رقم ١ فى سجن مزرعة طره العمومى الذى يقضون فيه فترة محكوميتهم، كان الحادث يمثل طريقة تعامل الجماعة مع النظام طوال عهد السادات، هذه الطريقة التى اتسمت بالتحدى والعنف وانعدام الثقة فى نظام السادات.. وهذا رغم الثقة الآن فى أن السادات كان يحاول عبثاً إيجاد المبررات لإصدار عفو رئاسي عن أفراد الجماعة ... كان العقيد أحمد

عادل مجاهد قد فاجأ إدارة السجن وأفراد الجماعة بهذه الزيارة غير المتوقعة فى توقيتها وطريقتها، حيث دخل بمفرده ودون أية حراسة إلى الحديقة الملحقة بالعنبر.. ففوجئ به من رأوه ... فى هذه الفترة كانت أنباء التعذيب داخل السجون تتسرب إلي أفراد الجماعة المحبوسين فتستشيط النفوس الجريحة غضباً، وكانت هذه الأنباء السيئة هى موضوع الحديث الدائم بين أفراد الجماعة داخل غرف العنبر.. ولذا كانت مشاعر الغضب على أشدها عند بعضهم الذين ما إن علموا بوجود العقيد مجاهد داخل عنبرهم حتى فاجئوه بالهجوم عليه وضربه ضرباً مبرحاً، ولم ينقذه من الموت سوى تدخل الآخرين لإنقاذه ودفعه إلى خارج العنبر.. وهو يكاد يشرف على الموت، لينقل فورا إلى خارج البلاد للعلاج، ثم تقاعد بعدها عن العمل في الشرطة ... ولم تنقض على هذه الواقعة سوى أيام قليلة حتى جاء الرد قاسياً وشديداً عندما اجتاحت قوات الأمن المركزى العنبر لتبدأ مرحله جديدة من القسوة والمحنة ومنع الزيارات.. وقد استمرت معاناة الجماعة بسبب هذه الواقعة قرابة ثلاثة أعوام بعدها...

(٣) كان للشعر دور بالغ الأهمية فى مسيرة الجماعة منذ النشأة الأولى وحتى محنتها الطويلة، وكان حادى ركب الجماعة فى تطورها، وكان محمد بسيونى يرسخ فى وجدانهم قيم الجهاد والتحدى للباطل وكان يترنم أمام الشباب بهذا البيت من الشعر ويشرحه على نحو رائع مبينا انه لو نجح الباطل فى تسريب وتنفيس هذه القيم والمشاعر فسيضمن لنفسه الأمان ويظل يواصل انتهاكه لقيم الحق :-

حتى إذا ما أستل أحقادنا　　منا وألقينا إليه الزمام

حرم ما أحل إلهنا　　من طيبات وأحل الحرام

ثم كانت الأبيات الثلاثة التى كان يحفظها ويرددها كثير من أفراد الجماعة، وكان لهل فعل السحر فى نفوس الجماعة فى بداية المحنة وأثناء التحقيقات العامرة

بمصنوف المغنيات القصر و لدنى وكان هذا المعنى الكبير يستشهد له مسبوقى بقول الشاعر

يا شبيها وضع الله محبة	الحق على طول الحذر
سوف تلقى فى الهوى علماً	عادياً الركب وزاد الفقرى
ما عسينا أن قد علمنا بدمة	المؤمن فى وعده الوفى

وأيضا كانت أبيات أول تتفضل فى قصيدة الشكاة المعروفة فى وصال الأندلسى، كما رأى أن أول المحمار الشاعر حيث :

أيها الواقفون على مائة المحرمة

أشهروا الأسنة

أنتم الشرعة

المعاجم الشرعة

أنتم الشرعة

أنا ثائر الحق والشرعة

وكان ما شعر به أثناء الاعتقال أن الشاعر أول ينقل كأنه يصف حالته وهو يقول:-

نتجرع مرارة الألم والأخرة وأنطلقه يد الله فى الشرعة

فى خلال العملية العقوبية كانت بعض الأمور تحدث بالكل والوعى له شعور قوية. وهذا كما أن النبى إستشى الله عليه وسلم: الإيمان بالله والتصديق وحتى يستقر ثوبت الوعى والعقيدة يقول الأندلسى إلى بيت شعر أثناء من السقوط عندما أرجعوا له براءة كثيرة:

أكلت من خبز أعدائي فأورثني • جبن العبيد وإقدام المجانين

أما الأنصاري الأب فقد جسدت قصائده محنة ولده فى مراحلها المتتابعة وسجلها في دواوينه المطبوعة ، ومن بينها أشعار واضحة الدلالة في تأيد الأنصاري الأب لقضية أبنه منها ما كتبه أثناء فترة الإعدام مثل قصيدته الشهيرة : مقاطع من قصيدة لم تكتمل قال فيها:-

ما أمنوا بك مثلي دون برهان ولم يزعزع مصابي فيك إيماني
الحزن فوقى ومن تحتى وفى رئتى ومن جميع دروب الأرض يلقاني
فلا تدعني هنا نهباً لأحزاني مالي سواك حبيب بات يرعاني
ماذا أعد لمولاي الأمير ومن أدعوه للعرس من أهلى وخلانى
ومن سيختار للمحبوب حلته ولونها أبيض أم أحمر قاني
ومن سيصحبني لما أودعه في أخر الحفل عند الشاطئ الثاني
جزيرة في بحار دون شطآن حصباؤها من درارى ومرجان
شيدت قصر حبيبي في مشارفها هل تعبرون إليه فوق جثماني

كانت هذه الأشعار تعبيرا عن مساندة الأنصاري لولده فى محنته وقد كانت خير عون له أمام قسوة البلاء وشدته.. ولعل المشهد الذي شهدته قاعة المحكمة ساعة النطق بحكم الإعدام يجسد هذه العلاقة الخاصة والحميمية بين الاثنين.. فعندما نطق المستشار برهان الدين العبد بالحكم ترنح الأنصاري الأب أمام المنصة وسقط على أقرب مقعد وكانت عينا ابنه عليه فطلب من بعض الصحفيين والمحامين أن يساعدوا الأب ويساندوه إلى قضبان القفص ليودعه.. تحامل الأب وتجلد وغالب أحزانه وهمومه وشد على يد ابنه بقوة وقال له كمن يأمره أمره الأخير (كن رجلاً حتى النهاية)...

ومن أبيات الشعر ذات الأثر الكبير ذلك البيت الذي رآه الأنصاري محفوراً على جدار زنزانته لبطل سبقه إلى ذات الزنزانة وبث فيه القوة واليقين والطمأنينة، ومنه شطرة تقول : [تدب الحياة على المشنقة...]..

كان الأنصارى أحد الشعراء القلائل الذين امتلكوا الجرأة والشجاعة كى ينتقدوا علنا أحكام الإعدام التى صدرت ضد أعلام الإخوان عام ١٩٦٦، بل انه نشر هذا الشعر وخرج به إلى الناس وشدا به فى المحافل، فقال فى قصيدة (القصيدة) :-

يأيها الوطن الجريح تركتهم ... وأسودهم عند العرين تضام

لمن المشانق فى العراء تقام ... ضل القضاة وجارت الأحكام

أو لست شاعرهم وحادى ركبهم ... وعلى عنائك تورق الأحلام

فاذرف على جزع المقابر دمعةً ... وأعرف مكانك فالطريق ظلام

وأكتب قصيدتك الأخيرة وأنتظر ... فالصمت دون رثائهم إجرام

ثم كتب فى العام نفسه ١٩٦٦ الذى نفذت فيه أحكام الإعدام ضد سيد قطب ورفيقيه قصيدة شهيرة منها:

بوميض عينيك الدروب تضاء ... وخطاى فى أرجائها عمياء

الحق فيها والضلال تشابها ... والموت فيها والحياة سواء

عيناك لى بر الأمان بعالم ... الناس فيه برعبهم سجناء

شهواتهم صدأت فليس يثيرهم ... ظمأ، وليس يهزهم إرواء

أنا مثلهم قنعت وجهى بالرضا ... وكست جبينى بسمة بلهاء

فى ظاهرى حر وبين جوانحى ... عبد تدارى سمته الظلماء

الرعب تحت وسائدى وعيونه ... رصد علىَ.. وهمسه إصغاء

من ذا يميزنى.. فإن ملامحى ... من طول ما لونتها شوهاء

يا سيدى.. شرفت بك الحوزاء وفدتك منى الروح والأبناء

مر سيدى السياف يغمد سيفه فلأغنيات على فمى خرساء

(٤) عندما نجح طلال فى امتحانات الثانوية العامة غمرت الأب فرحة ظاهرة وطلب من ولده أن يحقق له رغبه طالما تمناها وهى أن يلتحق بكلية الهندسة..التى كانت آنذاك فى قمة تألقها حيث ارتبط صعود نجمها بالنهضة الصناعية التى أقامها عبد الناصر وببناء السد العالى حتى إنها كانت فى مقدمة الكليات.. وكانت أسرة الأنصارى تقطن بالقرب من كلية الهندسة فى المنطقة المشرفة على الطريق الذى يسلكه الطلاب سيراً على الأقدام من المدينة الجامعية إلى الكلية فى مشهد بهيج كله حيوية ونشاط يحملون اللوحات ومسطرة الهندسة المعروفة بحرف الـ T.. كانت الأسر ترقب هذا المشهد الأخاذ ويتمنونه لأولادهم.. ولما طلب الأب من أبنه طلال أن يختار فى استمارة تنسيق القبول للكليات كلية الهندسة كرغبة أولى وقع طلال فى حرج شديد.. فقد كانت تعليمات الجماعة آنذاك صارمة فى التحاق خريجى الثانوية العامة من أفرادها بالكليات العسكرية وذلك تنفيذاً لخطتها بالاعتماد على الجيش.. والأب لا يعلم شيئا عن الجماعة والابن لا يستطيع إبداء أسباب مقنعة لإصراره على الالتحاق بالكلية الفنية العسكرية ولا يستطيع إعلان إنه عضو فى جماعة هى تنظيم سرى.. إلا أن الأب فعل ما لم يتصوره الابن.. فوافق له على رغبته غير المبررة وتحمل كل مصاريف السفر ورسوم التقديم للكلية الفنية وتكاليف الإقامة في معسكر الطلبة المستجدين كما تقضى اللوائح بذلك آنذاك.. فى خلال المعسكر وصلت للابن برقية من الأب كان نصها (مبروك يا باش مهندس، لقد قبلت فى كلية الهندسة).. كان خطاب الترشيح الرسمي قد وصل للابن على عنوان البيت وفرح الأب.. وأجتاز الأنصاري بنجاح جميع الاختبارات حتى بلغ الاختبار الأخير فى التصفيات.. فيما بعد أقر الأب لأبنه وبعدها سنوات أنه هو الذى تدخل بعلاقاته لرفض قبوله فى الكلية الفنية العسكرية..، لينتقل الأنصاري إلى كلية الهندسة التى كان غير متحمس لها بسبب

طرازها المعماري الفرعوني حيث كانت الفرعونية أخر من يتحمس له الأنصاري الابن....

(٥) مع اقتراب موعد المحاكمات أبلغ الأنصارى ابنه أنه قد اختار للدفاع عنه محامياً قديراً وشهيراً هو الأستاذ الكبير إبراهيم طلعت والذي حضر إلي السجن وقابل طلالا بالفعل..كانت جماعة الإخوان المسلمين قد دخلت بهمة فى الأمر وتولى رجالها إدارة عملية الدفاع وعبء المحامين..ووضعت جماعة الإخوان خطة الدفاع وتولاها المحامون منهم ومن غيرهم..فمن الإخوان كان أشهر محاميهم آنذاك الدكتور عبد الله رشوان الذي ألزم بقية طاقم الدفاع بخطة الدفاع التي تعتمد علي محورين الأول : في الوقائع والموضوع، والثاني : سياسي.. ففى الوقائع كانت الخطة تعتمد على إنكار التهمة ونفى محاولة الانقلاب وتصوير المسألة باعتبارها مؤامرة داخل عملية الصراع على السلطة فى مصر، وأن القصة هى أن مجموعة من طلبة الكلية الفنية العسكرية كانت تقيم ندوات دينية داخل مسجد الكلية ويحضرها زوار من خارج الكلية مدنيون، وأن المتآمرين استغلوا هذا للإيقاع بهم.. وعندما حضر إبراهيم طلعت لمقابلة طلال واستفسر منه عن الحقيقة أكد له هذا التصور الذى قرره دفاع الإخوان.. لكن الآن وبعد كل هذه السنوات واشتغال الأنصارى بالمحاماة فانه يرى أن خطة الدفاع هذه لم تكن موفقة من الناحية القانونية، وأنها حملت استخفافا بالمحكمة لا يجوز.. وكان الأولى البحث عن طريق أخر.. لقد اعتمد الدفاع على أن تاريخ العشرين سنة السابقة من خلال محاكمات الأخوان وغيرهم قد حفل بتلفيق القضايا من الأجهزة المتعددة وبذلك يسهل إقناع المحكمة بأن مسلسل التلفيق مستمر.. إلا أن الأمر فى هذه القضية كان مختلفا كل الاختلاف، حيث كان واضحا لمن يطالع الأوراق أ ويتابع الأحداث أن هناك تنظيماً وأنه تحرك بالفعل ولم تكن هناك أية مؤامرة..

(٦) كانت المحاكمات تستأثر باهتمام أجهزة الأعلام المحلية والعالمية حيث أنها أول قضية سياسية كبرى فى عهد السادات وبعد محاكمات الأخوان الشهيرة فى منتصف الستينات، بالإضافة إلى أن السادات أراد التركيز الإعلامي على

المحاكمات لتكون دعاية لسياسته الجديدة فى الحريات واحترام القانون ليثبت للناس أنه يختلف عما سبقه من القمع الناصري، كان الأنصاري الأب مواظباً على السفر من الإسكندرية إلى القاهرة لحضور كل الجلسات.. وكان محور اهتمام الإعلاميين فى قاعة الجلسة حيث كانوا حريصين على إبراز تصريحاته وإجراء حوارات معه.. لكن الأنصارى الأب كانت تتملكه ثقة كبيرة غير مفهومة فى أن ابنه سيحكم له بالبراءة وأنه سيكون خارج الأسوار قريباً.. فى جلسة ١٠ /٥ / ١٩٧٥ والمحددة لنطق الأحكام وقف الأب أمام المنصة يترقب سماع الحكم..و ترنح عندما نطق المستشار العبد رئيس المحكمة بتحويل الأوراق إلى المفتى لكل من صالح سرية وطلال الأنصارى وكارم الأناضولى.. لكنه تحامل على نفسه وحملته قدماه بصعوبة إلى قفص الاتهام ليودع ابنه الوداع الأخير وليشد على يديه بقوة قائلاً له : كن رجلاً حتى النهاية...

وبعد صدور حكم الإعدام حضر الوالدان لزيارة ابنهما للمرة الأولى، لكن هذه الزيارة ــ كما يقول طلال ــ كانت كاشفة لمعانى كثيرة أولها أن الابن كان غافلاً كل الغفلة عن صلة رحمه، وثانيها أنه لم يكن يدرك عن الأبوة ولا الأمومة شيئاً، وثالثها أنه لم يكن يدرك أن له هذه القيمة الكبرى عند والديه.. كان المشهد عجيباً على كلا الناحيتين من الحاجز السلكى من لزيارة.. وهو مشهد سجله الأنصارى بقوله

لك السلام سلام المشفق العانى　　من رحلة لم تكن يوماً بحسبانى
ومشهد كل شئ قد يكون سدى　　جهرى بحبك فيه مثل كتمانى

كان الابن فى ملابس الإعدام الحمراء الرثة.. مع طاقية حمراء والقيود حديدية فى يدى الابن ذى الجسد النحيل.. وقد مضى على اعتقاله أكثر من عام منذ بدأه فى سن أقل من الثانية والعشرين.. وعلى الجانب الأخر من الزيارة كان يقف الوالدان يلفهما الذهول الصامت ومن حولهما ضباط وجنود الحراسة، وكان الابن يقلقه هذا

الصمت الذى ينطق بالكثير، فبذل محاولتين لتعزية والديه، فتوجه للأم التى كانت دموعها تنساب غزيرة فى صمت قائلا : يا أمى لا تحزنى فأنا سأكون شهيداً.. ردت الأم الريفية البسيطة التى تعرف من مجتمعها الريفى أن الشهادة فى سبيل الله مرتبطة بالتقدم فى العمر: شهيد ؟! أنت لسة بتعملها على نفسك ؟! .. فحاول من جديد مع الأب فقال: يا أبى لقد انتهيت من حفظ القرآن الكريم، فرد الأب مؤكداً فشل محاولة الإبن: زادت النسخ نسخة !... أما المحاولة الأخيرة فقد فجرت الموقف: قال الابن متصوراً أنه يسرى عن والده: عندك ثلاثة أبناء غيرى سيعوضونك عنى.. فوجئ الإبن برد فعل لم يتوقعه من الأب لا هو ولا كل المتواجدين فى مكان الزيارة.. لطم الأنصارى الأب على وجهه صارخاً: أنت لا تعلم شيئاً.. وقرأ بيت شعر لابن الرومى معناه أن الابن للأب مثل العضو للجسم إذا فقده الجسم لا تعوضه سائر الأعضاء.. ناشدت الأم الحراس أن يسمحوا لها أن تقبل ابنها وتحضنه للمرة الأخيرة قبل شنقه آنذاك بكوا جميعاً حيث أن السلك هو الوسيلة الوحيدة للزيارة.. ..

(٧) كان طبيعيا بعد فشل العملية أن تثور التساؤلات بين الأعضاء عن أسباب هذا الفشل ومدى المسئولية عنه، وخاصة أنه سقط ثلاثة عشر قتيلا والقتل فى الإسلام وحرمة الدماء أمر جلل، وهو ما أثار خلافا وأنذر بفرقة تشق وحدة الجماعة وهم فى موقف عصيب، وتحمل الثلاثة صالح وكارم والأنصاري القدر الأكبر من اللوم والمسئولية، وكان صالح وكارم أكثر ثباتا من رفيقهما لكن الأنصاري تعرض لهزة شديدة فقرر الأخذ بالأحوط وصام ستين يوما كفارة القتل الخطأ، وجاءت رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لتعيد إليه ثباته وتوازنه، فقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى طريق هجرته من مكة إلى المدينة يتحرى آثار قدميه الشريفتين ويضع قدميه مكان قدمي النبى صلى الله عليه وسلم . كما رأى له هانى الفرنوانى رؤيا أخرى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى نفس الفترة حيث رآه يقف على باب غرفة النبى حاجبا له يستأذن للصحابة فى الدخول عليه . وصدق قول الرسول صلى الله عليه وسلم : الرؤيا الصادقة جزء من أربعين جزءا من النبوة يراها المؤمن أو ترى له .

(٨) بعد أن صدر قرار تخفيف حكم الإعدام إلى الأشغال الشاقة المؤبدة لطلال الأنصارى، وقبل وداع صاحبيه تمهيدا لترحيله خط كارم بيده على ظهر الغلاف الداخلى لمصحف الأنصاري رسالة إلى إخوانه يدعوهم فيها إلى الثبات على الحق والوحدة والابتعاد عن الفرقة . وكان اختيار موضع الرسالة بهدف تأمينها بعيدا عن المنع .

(٩) كانت أحداث هذه القضية سببا فى اهتمام كثير من الباحثين داخليا وخارجيا، خاصة بعد اشتعال الثورة الإسلامية فى إيران فاهتمت الدوائر الغربية بدراسة الحالة الإسلامية فى مصر، ومن ذلك الدراسة التي أجراها المركز القومي للبحوث من خلال لجنة ترأسها الدكتور سعد الدين إبراهيم أستاذ علم الاجتماع فى الجامعة الأمريكية حيث التقت اللجنة المذكورة بالأنصاري فى محبسه بهدف اكتشاف الأسس الفكرية والتنظيمية للجماعة لكونها أول الحركات الإسلامية المعاصرة بعد تنظيم ١٩٦٦، وقد اتصلت هذه اللقاءات عدة أشهر عام ١٩٧٩، وقد توجس الأنصارى من هذه اللجنة رغم تكرر اللقاءات فلم يقدم كثيرا مما يعرفه، لكن هذه الدراسة صارت مرجعا أساسيا لكثير من الكتابات ..

ويؤكد الأنصارى أن الدكتور سعد الدين تحول باللجنة من دورها البحثى إلى دور الوساطة والحوار مع السلطة، لكن ذلك لم يكتمل .وقد أكد ذلك أنيس منصور فى مقالاته بعنوان " تكفير التكفير كفر " التى نشرها فى مجلة أكتوبر بعد الاغتيال مباشرة .

(١٠) شهدت فترة ما بعد حكم الإعدام ترابطا إنسانيا بين القادة الثلاثة لا يزال فى وجدان الأنصارى، وقد تمثل فى أحاديث ما بعد الفجر من خلف الأبواب الموصدة، حيث كان الصوت يسرى حاملا أحاديث تناولت المسائل الثقافية والدينية والسياسية والتاريخية، فضلا عن أشعار صالح سرية التى كان يقرأها على صاحبيه، وتفسير الرؤى .

(١١) كان للثلاثة طقوسهم الخاصة فترة الإعدام، فقد صام كارم صياما متواصلا حتى تنفيذ حكم الإعدام عام ١٩٧٦ وهو أطول صيام عرفه الأنصارى

الذي صام ستة أشهر فقط ٠ بل إن كارم صام أيضا عن الكلام مع أحد سوى زميليه ٠

(١٢) التحق المحكومون فى هذه القضية بالدراسة الجامعية فى مختلف الكليات حتى حصل معظمهم على أكثر من شهادة جامعية ومنهم من استكمل دراسته العليا، وأثناء ذلك وفى سجن الحضرة بالإسكندرية إبان تأديتهم الامتحانات حضر لزيارتهم عديد من قيادات الإخوان المسلمين منهم محمد حسين عضو مجلس الشعب والدكتور إبراهيم الزعفراني وغيرهم ٠ أما زينب الغزالى فقد أرسلت أموالا إلى أفراد الجماعة عدة مرات فى سجن مزرعة طره.

وثائق
من الملف الصحفى للقضية

قرار الاتهام فى قضية الفنية العسكرية يصدر

يصدر غدا !

١٠٣ شملهم قرار الاتهام

النيابة تفرج عن الذين ثبت عدم ادانتهم فورا

كتب عبد الرحمن مصطفى

تذيع النيابة العامة اليوم او غدا قرار الاتهام فى قضية التنظيم السرى المشبوه ومحاولة الاعتداء على الكلية الفنية العسكرية الذى يتزعمه صالح سريه .

وعلمت « الجمهورية » ان حسن عثمان رئيس نيابه امن الدولة العليا ووكلاء النيابة قد انتهوا امس من وضع قرار الاتهام وقائمة الشهود وقد ارسل مع تقرير كامل بوقائع التحقيقات الى المستشار محمد ماهر النائب العام لمراجعة قرار الاتهام مراجعة نهائية تمهيدا لاعلانه .

وشمل قرار الاتهام ١٠٢ متهمين وجهت اليهم نيابة امن الدولة العليا تهما خمسة اهمها :

١ ـ محاولة قلب نظام الحكم بالقوة وتغيير دستور الدولة باستخدام عصابة مسلحة لتحقيق هذا الغرض

٢ ـ الاشتراك فى تنظيم الغرض منه تحقيق الاهداف المبينة بالتهمة الاولى

٣ ـ الاتفاق الجنائى الذى كان من نتائجه قتل بعض حراس الكلية الفنية العسكرية وسرقة اسلحة وذخائر من الكلية الفنية وتعطيل الاتصالات التليفونية بها .

وعقوبة التهمة الاولى هى الاعدام ولقد تتردد العقوبات ، اما بالنسبة للمتهمين الاخيرين فان عقوبتهما تصل الى الاعدام ..

وعقب صدور قرار الاتهام سوف تقوم النيابة العامة على الفور باعلان المتهمين الـ ١٠٢ بقرار الاتهام ، وتحديد جلسة قريبة لمحاكمتهم امام محكمة امن الدولة العليا ..

وعلمت « الجمهورية » ان قائمة المتهمين بقرار الاتهام من طلبة كليات الطب والهندسة بجامعتى الاسكندرية والقاهرة ، وان من بين المتهمين ١٨

متهما من طلبة الكلية الفنية العسكرية والذين من ضباط القوات المسلحة وثلاثة من الموظفين ..

وعلمت « الجمهورية » ان قرار الاتهام قد حدد دور كل متهم من المتهمين وان قادة التنظيم المشبوه الذى يتزعمه صالح سرية هم طلاب الانصارى وكامل محمد عبد القادر رئيسا التنظيم بالاسكندرية وحسب هلاوى رئيس التنظيم بالقاهرة وكان الاناضولى رئيس التنظيم بالكلية الفنية العسكرية .

وعلمت « الجمهورية » ان النيابة العامة قد افرجت عن مجموعة من الذين تم القبض عليهم وشملتهم التحقيقات ولم تثبت ادانتهم ، وانه قد تم الافراج عن هؤلاء فور ثبوت عدم ادانتهم وذلك تأكيدا لتوجيهات الرئيس انور السادات بتحقيق السيادة المطلقة للقانون وكفالة حريات المواطنين .

كما ان النيابة العامة لم توجه التهم المذكورة لاحد افراد التنظيم وذلك لانه ابلغ عن التنظيم قبل وقوع الحادث بساعة واحدة .

وقد بلغ عدد الصفحات التى سجلت فيها النيابة العامة تحقيقاتها فى هذه القضية ١٥٠٠ صفحة فولسكاب ..

وعلمت « الجمهورية » انه سيمثل النيابة العامة اثناء محاكمة المتهمين الاساتذة حسن عثمان رئيس نيابة امن الدولة العليا ومصطفى طاهر ورجاء العربى ومحمد عبد السلام وكلاء النيابة الاول بنيابة امن الدولة العليا .

تأجيل قضية الفنية العسكرية الى ١٨ يناير .. بعد جلسة حامية

قررت محكمة امن الدولة العليا امس ـ بعد جلسة حامية ـ تأجيل نظر قضية الفنية العسكرية لجلسة ١٨ يناير القادم كطلب الدفاع عن المتهمين لاستلام باقي اجزاء القضية التي لم يتم نسخها ..

وتضمن قرار المحكمة ايضا وضم ملف خدمة المتهم الاول صالح عبد اللاسرية وملف الطالبين سعد محمد دربالة وحسين حسن سليم غنيم بالكلية الفنية العسكرية. ووافقت المحكمة على تمكين الطلبة المتهمين من تأدية امتحاناتهم خلال فترة تأجيل القضية .

وقد امتدت الجلسة الى الواحدة والربع بعد الظهر بسبب ما احتدم فيها من نقاش بين المحكمة واعضاء هيئة الدفاع وبين بعض المتهمين .

كما عقد المحامون الحاضرون للدفاع في هذه القضية اجتماعا بغرفة المحامين بدار القضاء العالي حيث دار البحث في شأن تقييم دفاعهم عن المتهمين وفي مسلك زميلهم المحامي نادر عبد المعز الموكل عن ٩٢ متهما ومدى تعارض ذلك مع مصلحة المتهمين . ■

مناقشة بين المتهم الثانى طلال وبين والده حاول الوالد اسداء النصح لابنه ولم يقبل الابن مصافحة الوالد الا بعد أن تدخل المتهم الاول وطلب منه ذلك ..
« تصوير : محمد لطفى »

تاجيل نظر قضية الفنية العسكرية الى ١٤ ديسمبر استجابة لطلب الدفاع

دفع بعض المتهمين بوقوع تعذيب . فقررت المحكمة احالتهم الى الطبيب الشرعى لتبين الحقيقة

المحكمة تامر بتمكين المحامين من مقابلة المتهمين على انفراد

كتب مصطفى حسن وعلاء وراق :

تقرر تأجيل نظر قضية القاهرة الى يوم ١٩ ديسمبر القادم لطلب الدفاع الاستعداد .. كما امرت محكمة امن الدولة باحالة معتوهين الطب الشرعي لتحديد ما بهم من اصابات وسبب وتاريخ حدوثها .. في جلسة امس التي استمرت حوالي ساعتين واحدة . حدث ما الشبيه بين الدفاع والنيابة وبين المتهمين حول التحريات في الدفاع ومصلحة المتهمين بعد ان اعلن احد المحامين ان ٨٦ متهما وكلوه للدفاع عنهم .. كما سمحت المحكمة للدفاع بمقابلة المتهمين على انفراد ، واستجابت الرجميع طلب الدفاع .. امرت المحكمة برفع جلسة جامت في كلام النيابة الساعة من الصباح الاولية اعتبرت بها مساس لهيئة المحاماة القضاء الواقف .

مقدمت المحكمة جلستها في القاعة الكبرى بدار القضاء العالي برئاسة المستشار برهان امين وعضوية المستشارين عبد اللطيف الرفاعي ومحمد وجدي عبد الصمد وكيل النيابة عبد الحميد صادق المحامي العام ومصطفى طاهر رئيس النيابة ومدلي حسن وماهر الجندي وصهيب حافظ ومحمود موسى وكلاء اول النيابة وامانة سر رشاد فهمي وحسن خنفاري وجمال العسال ومحمد الشامي ..

وعلى ساعة مبكرة من صباح امس واحيطت امن غير مشددة حول مباني المحكمة اشرف عليها اللواء كمال شمي الله مدير امن القاهرة .

واحضر المتهمون في عربات مغلقة.. ودخلوا قاعة الجلسة في الثامنة والنصف صباحا .

وفي الساعة الثامنة والنصف بدأت الجلسة على الوجه التالي :

الرئيس : بسم الله الرحمن الرحيم .. تبدأ الجلسة ..

وبدأت الجلسة بمناداة المتهمين باسمائهم ليرد المحامون الموكلون والمنتدبون الحاضرين معهم .. وتبين ان جميع المتهمين حاضرون ماعدا المتهم رقم ٧٥ مصطفى الصيرون الذي تم اخلاء سبيله بالاسكندرية ولم يحضر .. ثم قام عبد العزيز حبيب المحامي انه موكل من ٨٦ متهما في القضية ..

تعارض الدفاع

وقام المحامي الاستاذ حافظ الحامي ليعلن ان جميع المتهمين في القضية قد وكلوه للدفاع عن انفسهم .. فقال بعض المحامين ان تواقيع الموكل من ٨٦ متهما ... فقال المحامي انه وكل بعضهم عبد الرحمن الاحمر .

احمد حافظ المحامي : انني استطيع ان اعمل بهذه الطريقة وان اقوم بمهمة الدفاع عن غيري وهم ٨٦ متهما ومحام واحد موكل عن ٨٦ متهما ويوجد تعارض بين مصلحة المتهمين .

المتهمون : لا نريد المحامين المنتدبين لانهم ممثلو الحكومة فليمسك بمحامينا الموكل .

احمد العزازي المحامي : المتهمون يعتقدون ان المحامين المنتدبين ممثلوه وهم غاطئون ، ولا يمكن ان يقبل هذا بحال من .. ونحن نؤدي واجبنا سواء وكلنا او انتدبنا ..

فهو يأمل ذلك ويتمنى ان تسير في اجراءات المحاكمة وتقف عن القاعدة في التعارض .

احمد حافظ المحامي : التعارض قطعا سيظهر في مرافعاتنا ، لان الموكل الموكل من ٨٦ متهما سيطلب البراءة لكل منهم ، هذا الموكل متهمون اخرين دليلا على اتهام متهمين اخرين ، فكيف يستقيم الدفاع .

التأجيل والدفوع

المهدي الفار المحامي : اقدم بتأجيل القضية الى اجل يسمح للدفاع بان يقوم بالمقابلة والاطلاع عليها مع بعض محامين في ابداء دفوع في بطلان الاجراءات الصادر من النائب العام المستشار محمود عبد العال .

حافظ الحامي : لقد اتفقنا في لجنة المتهمين والاجتماع على مقابلتهم على انفراد ، ومناقشتهم فيما ورد من اقوال على المتهم وكتابة الدفوع .

الرئيس : المحكمة تعرض بمقابلة المحامين لمتهميهم على انفراد .

فاتح عبد العز المحامي (الموكل عن ٨٦ متهما) حصلت على ١٢ تفويضا لزيارة ١٢ متهما ، ولم امكن من ذلك .. والمتهمون حاضرون واعيدوا

الرئيس : تلفت النيابة رئيس مقابلة المتهمين المحامين على انفراد .

الامام الجمل المحامي : سأرد جوابك ..

الرئيس : هذا امر يخلو من الادب

قرب يا سرية

الرئيس : صالح سرية .. قرب قربة .. لا يصالح من محاميك .

المتهم صابع سرحة : الاستاذ فايز .. وصابع هو حضور الاستاذ احمد كمال لسريان الامر منتهيا .

الرئيس : حسنا ايه ..

المتهم الاول : خطبني الجنة

الرئيس : [illegible] قرار الاحالة بإرشاد .

وهنا وقف محمد رشاد فهمي امين سر المحكمة وتلا قرار الاحالة ..

الرئيس : النيابة ..

مصطفى طاهر رئيس نيابة امن الدولة العليا : ان النيابة تطلب تطبيق مواد الاتهام الواردة فى امر الاحالة وتبدى استعدادها من هذا الكتاب الذى تلقته السيد المحامى فى صورة دفع ببطلان الاعتراف ولجاجته للحقيقة

وهنا حدث هياج واصوات تقاطعه من المحامين وتطالب رئيس المحكمة التدخل لمنع النيابة من الاسترسال فى اتهاماتها .

الرئيس : تثبت عبارات النيابة بمحضر الجلسة وترفع العبارات الخارجة من محضر الجلسة (تصفيق)

النيابة تعترض

ثم استكمل مصطفى طاهر رئيس النيابة حديثه فقال : ان النيابة وصفت بانها كانت متأثرة فى تحقيقها بالشرطة والباحث .. وقد جرى التحقيق فى والمتهمون فى حالة غير مجلوزم بلباسهم وصاباهم عقب ارتكاب الحادث وجرى التحقيق فى مبنى الكتيبة الفنية العسكرية وكتيب النائب العام ووزارة الداخلية وعدة اماكن اخرى ، والنيابة تبدى امتراضها على ماورد من اقوال المحامين التى ابدوها فى صورة دفوع

الرئيس : هل هناك مطالب غير التأجيل للاطلاع على ملف الدعوى .

احد المحامين : نطلب حفظ الحق فى ابداء دفوع بعد الاطلاع على ملف الدعوى .

الرئيس : انا احب اسمع المتهمين اولا .

وقف المتهم الثانى طلال الانصارى وقال انه يطالب بجلسات علنية وان الحكومة متأثرة على الاسلام سنة ١٩٤٨

المحامى طلعت السادات : نطلب استدعاء طبيب السجن الدكتور محمد ابراهيم الذى وقع الكشف على بعض المتهمين ، وهناك تعذيب على المتهمين

الرئيس : حدد لنا طلباتك

المحامى : استدعاء الطبيب الذى وقع الكشف على المتهمين

رشدى بدوى المحامى : نطلب انتداب الطب الشرعى لاثبات ما بالمتهمين من اصابات وسببها .

وتاريخ حدوثها .

وهنا قررت المحكمة رفع الجلسة للمداولة وكانت الساعة قد بلغت العاشرة والنصف صباحا .

ثم اعيدت الجلسة للانعقاد بعد حوالى ساعتين فوقف فايز عبد المنعم المحامى وقال :

المتهم الخامس كارم الاتاسولى يريد الكلمة ..

الرئيس : عايز تقول ايه ياكارم؟

المتهم : كلمتنا باسم الله ونرفض المحاكمة بغير كتاب الله ولانعترف بشرعية المحكمة ولا الحكومة ونرفض اطلاق علينا لفظ ((متهمين)) لاننا لسنا متهمين وتهمتنا الوحيدة هى الايمان بالله ..

الرئيس : طيب .. طيب .. القرارات .

تأجيل نظر الدعوى

قررت المحكمة اولا : تأجيل نظر الدعوى لجلسة ١٤ ديسمبر القادم كطلب الدفاع عن المتهمين للاطلاع والاستعداد وعلى النيابة العامة احضار المتهم رقم ٧٥ مصطفى عبد المنعم الصيروتى من السجن واعادة اعلان من لم يحضر من الشهود لتلك الجلسة

ثانيا : احالة كل من المتهمين عبد الحليم السيد عبد الحليم واحمد صالح عامر واحمد مجدى محمد اسماعيل ومحمود عادل فرج البلبيسى ومصطفى يسرى احمد الى الطبيب الشرعى للكشف عليهم ، وبيان [illegible] وتاريخ حدوثها والآلة المستعملة فى احداث هذه الاصابات .

ثالثا : على النيابة العامة اعلان كل من المقدم لزوم امام بمباحث امن الدولة والمقدم توفيق فوزة برئاسة الجمهورية والنقيب احمد على رجب ضابط مندوب بمقر رياسة الجمهورية ليدلوا بشهادتهم فى القضية ..

رابعا : ندب المحامين الموضحة اسماؤهم بمحضر الجلسة للدفاع عن المتهمين .. مع التصريح للمحامين كل بمقابلة المتهم الذى يترافع عنه على انفراد وعلى النيابة العامة تذليل المحامين من ذلك .. مع استمرار حبس المتهمين .

● مصطفى طاهر .. رئيس نيابة أمن الدولة العليا ●

● فايز عبد المعز حبيب المحامي عن ٨٦ متهما ●

● يوسف العبد رئيس محكمة امن الدولة العليا يستمع الى طلبات الدفاع ●

● المتهمون فى قضية الفنية العسكرية فى قفص الاتهام .. اغلبهم يرتدى الجلابيب البيضاء واطلق اللحى ●

● جوهم يتحـــدثون الى
احـــل بدء الجلسة ●

تفاصيل ما دار
فى محـــاكمة
المتهمـــــين
فى قضـــــية
الفنية العسكرية

لماذا كشف المتهمون ظهورهم للمحكمة ؟!
النيـــابة تتهم الدفـــاع بالكذب

كتب ـ السيد حمدى واحمدالعطار ومرعى مدكور :
تم أول امس ـ السبت ـ مناقشة قضيةالفنيةالعسكرية والتى انتهت باعلان القـــاضى بتاجيلها الى ١٤ ديسمبر حتى يتمكن الدفاع من الاطلاع علىملفات المتهمين فماهى تفاصيل المناقشات التى جـرت وماذافعـل الدفاع حينما اتهمتـــه النيابة بالكذب .

دخلت هيئة المحكمة القاعة الساعة ٩,٣٥ وقبلها بخمس دقائق كانت قد دخلت الدفعة الثانية من المتهمين الى قفص الاتهام والذى كان يحتوى الدفعة الاولى من المتهمين وما ان تقابلوا حتى تعالت أصواتهم قائلين :

اللهم لولا انت ما اهتدينا
ولا صدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا
وثبت الاقدام ان لاقينا

وتعانقوا وكانوا يلتفون حول المتهم الاول صالح سرية ويتكاثفون حوله

والملاحظ أن غالبيتهم يرتدون .. الجلباب الابيض واطلقوا ذقونهم والبعض ارسل شعره كما كانوا فى حالة نفسية طيبة وظلوا يتبسمون

.. وبدأت الجلسة

بدأت الجلسة وتردى على المتهمين الـ ٩٩ وفى قرار الاتهام والملحوظة التى أثارت الانتباه هو أن هناك محاميا واحدا مؤكلا لـ ٨٦ متهما مما **أثار بعض المحامين**

وطالب محامى المتهم الحادى عشر الدفع ببطلان الاعتراف الصادر من موكله المتهم **محمود محمد عبد العال** والتمس من هيئة المحكمة تأجيل القضية حتى يتمكن من قراءة كل اجزاء الاتهام .

ماذا قال فايز عبد المعز ؟

قال المحامى فايز عبد المعز ـ الوكل عن ٨٦ متهما ـ انه حصل على تصريح من نيابة امن الدولة بزيارة ٢٥ متهما فما كان من رجال مباحث امن الدولة الذين يلازمون المتهمين ليل نهار ويعرضونهم للاذى والتهديد بضربهم وتهم الى التوقيع على بعض الاوراق وهنا صاح المتهمون تأييدا للمحامى وقال بعضهم انهم هددوا بان يتعرضوا لعمليات غسيل المخ .

وواصل المحامى قائلا : ان رجال مباحث امن الدولة الحاليين هم رجال المباحث السابقين ن اصغر جندى الى الوزير ونائب الوزير

وهم الذين قاموا بعمليات التعذيب التى تمت فى الفترة الماضية

وهنا طلب القاضى من النيابة تمكين مقابلة المحامين للمتهمين على انفراد فطجبت القاعة بالتصفيق

واضاف المحامى الذى اثار اعجاب الحاضرين بان تأثيرات وآثار التعذيب الذى تعرض له المتهمون مازالت ظاهرة على اجسادهم وعلى الصور بساعد الهرم القاعة وتحولت المتهمون . ورفعوا احد المتهمين الذى خلع قميصه مظهرا آثار التعذيب

وطالب المحامى بضم المتهمين الى سجن واحد لان بعضهم فى سجن القلعة وبعضهم فى ليمان طرة

ولما جاء دور النيابة اتهمت الدفاع بالكذب فثار المحامون واعترضوا على هذا اللفظ (الكذب) فالتزم ممثل النيابة الصمت

وهنا طلب طلال الانصارى احد المتهمين الرئيسين فى القضية ان يتحدث فالان له رئيس المحكمة

فقال طلال :

اولا : اطالب بان تكون الجلسات علنية لان لدينا ادلة مدعمة بالوثائق تثبت ان الحكومة تعمل ضد

الاسلام من سنة ١٩٥٢ حتى الان

ثانيا : نرجو حضـــور رئيس الجمهورية وقائع الجلسة فالقضية هى قضية الاسلام ولا اله الا الله

وعلى الفور هب أحد المحـامين وقال احـد المتهمين مشـلا ضرب بسيخ حديد فى صالته ـ يعرض غيره لمثل هذا العذاب

وعلى اثر هـذا انسـحبت [redacted] والنصف للمداولة

وإبناء فترة المداولة وصل دورق المياه للقفص الاتهام وتناوبوا الشرب وفى حديث جانبى للمتهم الاول صالح سرية واحد المحامين قال المتهم اننا لانخشى الا الله ولن نخفى فى قلوبنا شيئا

ولما حان موعد صـلاة الظهر اذن احد المتهمين واقاموا الصـلاة وادوها وكان امامهم هو صالح سرية وعقب الصـلاة قام احدهم بالدعاء وردد وراءه باقى المتهمين آمين ، آمين ثم قرأ احدهم سورة كاملة من القرآن وكانت القاعة فى حالة صمت تام

وعادت الجلسة للانعقاد

ولما عادت الجلسـة للانعقاد أعطى القاضى المتهمين الحـرية فى قول مايريدون وطـالب كل منهم بمطالبه وكان أقل المتهمين البارزين كلاما هو صالح سرية الذى لوحظ عليـه انه اطلق لحيته بعد القبض عليه والذى كان ما يزال محاطا بزملائه المتهمين الذين اعترضـوا على لفظ متهمين وقالوا انهم : (مسـلمين) والملاحظ انهم كانوا يرددون نفس الشـعارات التى كان يرددها الاخوان المسـلمون سابقا ثم بدأ القاضى فى اعلان نتيجة المداولة :

● ● تأجيل نظر الدعوى لجلسة ١٤ ديسمبر القادم واحالة ٥ متهمين الى الطبيب الشرعى واعـلان بعض الشـهود عن طريق النيابة وندب المحامين الموضحة اسماؤهم بمحضر الجلسـة للدفاع عن المتهمين مع التصريح للمحامين بمقابلة المتهمين كل على حده

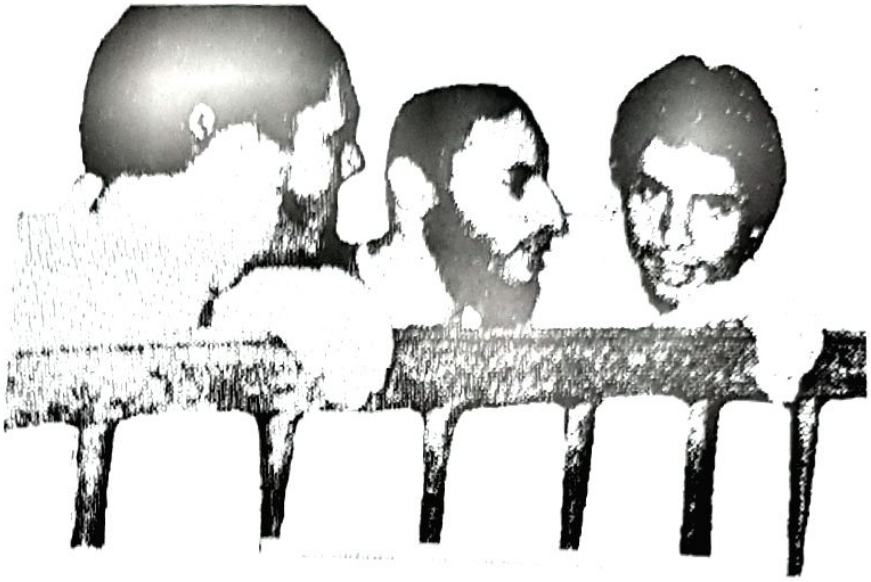

اثناء الجلسه .. رفع البعض
المصاحف مطالبا بمحاكمة تستند
الى القران ..

جلسة حامية فى قضية الفنية العسكرية :

مناقشـــات محتدمة على

مدى ٤ ساعات بين المحكمة والمحـــامين

وبين بعض المتهمين

● صـــدام بين متهم ووالده يصيح خلاله المتهم فى وجهه

« أنت كافر

محـــام يتهم محاميـــا آخـــر يصر عليـــه المتهمـــون

بأنـــه يتـــآمر عليـــهم

استغرقت جلسة الامس وهى الجلسة الثانية لمحاكمة المتهمين فى قضية الفنية العسكرية اكثر من ثلاث ساعات تخللتها استراحة تجاوزت الساعتين بقليل ، وحفلت بالوقائع المثيرة التى بلغت ذروتها عندما احتدم النقاش بين بعض المحامين وبين المحامى نايل عبد المعز الموكل عن جميع المتهمين واتهام احدهم له بانه ماجور للايقاع بالمتهمين الابرياء والاطاحة بهم .. وكذلك عندما رفض المتهم الثانى خلال التحقيق ان يترافع عنه المحامى الذى وكله له والده وقال عنه انه عميل وتمسك بالمحامى نايل عبد المعز ، مما اثار المحامى وقال انه لم يشهد قضية المتهمون فيها مضللون ومخدوعون بهذه الصورة تدخل المحكمة لحمايتهم .

اما الصورة داخل الجلسة وقفص الاتهام .. فلم تختلف عن الجلسة الاولى : ترديد المتهمين للشعارات صلاة الظهر داخل قفص الاتهام ، الاختلاف

الوحيد في الصورة هو ان محاميهم فايز عبد الحق – الذي قال وانتا بجوار المتهم – قد اطلق هو الآخر لحيته مثلهم تماما وكانت الجلسة قد بدأت في تمام الساعة الثامنة تماما برئاسة المستشار برهان الدين السيد وعضوية المستشارين عبد اللطيف الراعي ومحمد وجدي عبد الصمد .

ومثل النيابة عبدالحميد صادق المحامي العام ومصطفى ظاهر رئيس نيابة امن الدولة ومحمود موسى ومهيب حافظ وكيلا نيابة امن الدولة وقام بأعمال السكرتارية رشاد فهمي وحسين طنطاوي وجمال الغزالي ومحمد المنياوي ومصطفى رزق وسامي انيس امناء السر .

الرئيس : بسم الله الرحمن الرحيم فتحت الجلسة .

فايز عبد الحق المحامي : الاخ الدكتور [يقصد صالح سرية] له كلمة

الرئيس : أرأى يا استاذ .. تفضل يا حسين [مشيرا بقلمه الى حسين طنطاوي امين السر]

فايز عبد الحق « مقاطعا » : انه طلب طلبات

الرئيس : النيابة لها طلبات

مصطفى ظاهر رئيس النيابة : تطبيق مواد الاحالة

الرئيس : يا صالح [موجها كلامه للمتهم الاول] ، ابه رأيك في التهمة المسندة اليك ؟

المتهم : غير صحيحة وغير موجودة اطلاقا ولو تسمحوا لي عندي بعض الطلبات اريد ابداءها الان .

الرئيس : اتفضل طلباتك ابه ؟

فايز عبد الحق المحامي « مقاطعا » : تهدي الرئيس .. قبل ان يسأل المتهم لا بد ان تتوافر له كل الضمانات وفي هذه القاعة لا تتوافر الضمانات لتمسك مليئة برجال المباحث .

الرئيس : « مقاطعا » موكلك قال انه مش طالب

المحامي : اصدروا امركم اولا باخلاء القاعة من رجال المباحث الا للحراسة

الرئيس : يا استاذ انت موكلك قال انه مش طالب .

المحامي : « يحاول ان يسترسل في كلامه » .

الرئيس « مقاطعا » : ابوه باطلال [مشيرا الى المتهم الثاني]

المحامي : [لازال مسترسلا في كلامه

تابع الجلسة :

ابراهيم عمر

حول اخلاء القاعة من رجال المباحث »

الرئيس : يا استاذ المحكمة تمنعك من الاستمرار في الكلام .. هيا المتهم الثاني طلال

[ويتقدم طلال الانصاري الى منصة قفص الاتهام]

الرئيس : رأيك ابه في التهمة المسندة اليك .

المتهم : الناس الذي لا يحكم بما انزل الله فهو كافر

[ثم توالى سؤال المتهمين .. كل منهم عن التهمة المسندة اليه وكانت معظم الاجابات تنحصر في مثل ما قاله المتهم السابق . وخلال سؤال المتهمين عن التهم المنسوبة اليهم .. توقفت المحكمة قليلا عند المتهم ٧٥ « مصطفى الصيرفي – الطالب بطب الاسكندرية» والمتهم الوحيد الذي كان متغيبا في الجلسة الماضية] .

الرئيس : يا مصطفى .. مجتش الجلسة اللي فاتت ليه

المتهم : كان عندي امتحانات في الاسكندرية .

[وعقب الانتهاء من سؤال جميع المتهمين طلب الرئيس النداء على الشاهد الاول]

المحامون « مقاطعين » : ليه ندوخ عاوزين نجيبها

الرئيس : اتفضلوا

محمد الهدى المحامي : اللجنة ٧٠ سلاح فضل عنده امتحان نهائي طب ويجري الامتحان في هذه القاعة فارجو صدور امركم بتمكينه من اداء الامتحان .

الرئيس : احنا مرحنا اللي عندهم امتحان باداء امتحاناتك بس لا يتنافى مع مواعيد المحكمة واذا كان المتهم عنده امتحان اليوم فالمحكمة ليس لديها مانع من ان تمكنه النيابة .

المحامي : هو حا يمتحن في السجن واللجنة ستنتظره الان فمكنوه انتم

الرئيس : هو مش كان متقدم بطلب

المحامي : قدمنا طلبا ولم ينفذ

الرئيس : الاستاذ احمد الخواجه المحامي قابلني يوم الخميس الماضي وتفاهم معي بشأن هذا الموضوع

محمد الهدى المحامي : واللجنة موجودة الان وانا متسلم على تمكينه الان من تأدية الامتحان

فى السجن الا انه لم ينفذ حتى الان ولكنى احمد الله انه قد عوضنى منهم بـ ٩٠ ابنا هم اخوانى فى القفص .

الرئيس : مش قلت طلب لواحد قريبك جاى يحضر رسالة دكتوراه .

المتهم : لم ياتنى .

الرئيس : صرحنالك .

المتهم : اطلب صرف مبلغ ١٠٠ جنيه من تلومى اللى صنعتكم لاشترى منها ملابس الشتاء .. وتمكين اخى المحامى من الحضور الى حضر للمرافعة عنى حيث منع من الحضور .. واطلب حضور شيخ الازهر لمعرفة رايه فى القضية لانها قضية اسلامية وهو المؤتمن على الاسلام رسميا كما اطلب سماع شهادة رجال الامن المركزى والتصريح لى بورق وقلم لادون ملاحظاتى حيث انى محروم منها .

الرئيس : طلباتك المكتوبة هاتبعتها .

المتهم : بنى الجواب انشاء الله .

الرئيس : اخر الجلسة .

فايز عبد المعز ، لبقه المتهم لواحده موضوع فى سجن انفرادى .

الرئيس : يا استاذ عبد المعز اكتب مذكرة فى ذلك ..

مين حاضر من المتهم الثانى (موجها كلامه للمحامين) .

ابراهيم طلعت المحامى : انا طلباتى هاقولها فى المرافعة الموضوعية وانا محامى ووالد المتهم الثانى تقدم بطلب الى النقابة بطلب انتدابى للحضور عنه وانا وضعى وضع المحامى المنتدب وموكل عن نفس المتهم الزميل الاستاذ فايز عبد المعز وانا لرى أن هناك تعارضا .

الرئيس : المحكمة فصلت فى هذه المسألة ولا محل للعودة اليها .

المحامى : بليه .

الرئيس : خصمنا الاستاذ فايز عن صالح مرية فقط .

فايز عبد المعز : لا يصادر حقى وحق المتهمين فى الدفاع عنهم .

الرئيس : مفيش مصادرة عليك ما تسمع كلام المحكمة للاخر .

المتهم طلال : هذا المحامى انا ارفضه ولا يمكننى هذا المحامى ضيل (مشيرا بذلك الى الاستاذ ابراهيم طلعت) (والد المتهم يتدخل) اسكت يا ولد ابنى فاقد الاهلية واولادنا لا يعرفون مصلحتهم والاستاذ فايز عبد المعز يريد وضع رقبة ابنى فى حبل المشنقة وابنى لا يعرف مصلحته .

المتهم طلال للوالده : انت كافر .

والد المتهم : اخرس يا ولد .

ابراهيم عبد الجواد المحامى : حضرات المستشارين .. نحن نؤدى واجبنا منتدبين واذا عارف كلامى اللى ها قوله مصيره ايه ويتحمل مسئوليته .

الرئيس مقاطعا : المحكمة لن تسمع كلمة الا اذا جلس حضرات المحامين .

ابراهيم عبد الجواد : انا محامى المتهم ٣٨ .. وارجو أن يفهم الزميل الذى فرض نفسه حضورا أن المحاماة رسالة وامانة .

فايز عبد المعز : اثبت هذا فى محضر الجلسة .

ابراهيم عبدالجواد : اناشدك يا استاذ ان يثبت كل شىء على مسئوليتى .

المتهم ٣٨ : انا ارفض المحامى ده .

فايز عبد المعز : ارجو منع هذا المحامى من الكلام .

(وهنا بدأ المتهمون يرددون شعاراتهم ونداءاتهم فى صوت واحد) .

الرئيس للمتهم الاول : سكتهم يا صالح وارجوك أن تسمعنى انت وزملاؤك .. ارجو ان تعطوا المحكمة الفرصه لنظر القضية فى جو هادىء والا ستتخذ المحكمة حقها فى اخلاء القاعة من المتهمين .

وهنا اشار صالح للمتهمين بالهدوء فسكتوا على الفور) .

ابراهيم عبد الجواد : اود ان اقرر فى محضر الجلسة أن الاستاذ فايز عبد المعز مأجور للابقاع من لم يثبت الاتهام قبلهم وهم المتهمون الذين قرروا انهم لا يعرفون شيئا وهدفه من ذلك الاطاحة بهؤلاء المتهمين وانه حاول جاهدا أن يوكل زميلا هو عادل عبد الحسامى بالاسكندرية مقابل مبلغ كبير واملى عليه دفاعا ، ولكن المحامى رفض أن يقبل التوكيل الا اذا ترافع حريته .. ولا كنا نقدر الامانة التى فى عنقنا ونعرف أن رسالة المحاماه فى الدفاع عن متهم وليس عن جريمة فقد نهضاه فى اكثر من جلسة فى غرفة المحامين بالاسكندرية ، الا انه صرح تصريحات خطيرة أمام بعض الزملاء بأنه مفروض أن ينحى هذا المنحى والا سيقتل .

فايز عبد المعز : كاذب ومضلل .

المتهمون : سيادة .

المحامي عبد الفتاح : أنا أسجل هنا

... عشر سنين .

المحامي طلعت : هذه الشهادة لا يكون التحقيق قد بدأ فيها ... ولكن أنا أعترض وطالما المتهمون لم يكملوا أسئلتهم ولم يتركوا سيادتك تكمل وجهة نظرك فليس هذا الوقت المناسب لأن يطلب المتهمون أو أحدهم أن تسمع هؤلاء الشهود لأن الشهود هنا لإثبات الواقعة . وأنا معترض بشدة على سماع أقوال المتهمون الآن .

الرئيس : ألي ما يتكلم من المتهمين فليترك مرة .

المحامي طلعت : أول مرة أرى جريئة كهذه أن محكمة بمستواك ... تتركها بالتسلسل وتتركين جملة لا تقدرها وإذا كنا جئنا لتصفية الجو وأنا أقسم غير مأجور لأن والله أقسم بشرفي الشخصي لن أترافع إلى رأيت المتهمين عن طلبه كهذه من هؤلاء المتهمين ولكن نواجه العدالة حضرت ولا يمكن أن يكون هذا جزاء ستار وأنتم أولياء الدم . وهذا وكفى وهذا أبينا .

المحامي حافظ : السيادة طالما تتعنت المتهارض وتطلب إصدار قرار بجلسة اليوم بسماع دفاع المتهم الأول عن دفاع باقي المتهمين .

الرئيس : المحكمة أصدرت قرارها .

فايز المحامي : سيادة الرئيس ... المكون صلح سرية لم تكن أود سماعها

الرئيس : كل من له طلب الآن يتكلم به كتابة للمحكمة ... رفعت الجلسة .

● ● ●

وفي الساعة الثانية عشرة والربعين دقيقة عادت الجلسة للانعقاد حيث طلب المتهم الأول الكلام فأذنت له المحكمة .

المتهم الأول : المعلن الذي تفضلت المحكمة أنا لسه معرفش أسبه ولم أره .. أرجو أن يحضر للنيابة يا فندم .

الرئيس : المحكمة أجلت لك الاستدلال فايز .

المتهم : أنا فايز فايز وحده .

الرئيس : خلاص .. وبالنسبة لطلبك يا سيد صالح المحكمة سبق أن تفضلت لها قريب لك بطلب التصريح بمقابلتك .

المتهم : لسه لم عرفوا أنه ...

الرئيس : لا أنت سمعت أنه رفض يتكلم لنا حتى الآن ده وشوف الموقف فيه وسيبة للاتصال به ومحدش يقدر للأسف على مقابلتك .. سعادتك ! طلب تابت أنها لي بطلب لإبراهيم وبالنسبة لشكوك من السودان والمحكمة سمعتك من هذا وبالنسبة لقلة تصرفاتك من البداية .

وكيل النيابة : المتهم ضبط معاه في حدود ٢٥٠ جنيه وصرحنا للمسز زوجته أثناء التحقيق بمبلغ ١٠٠ جنيه بمعرفته وما أنفق من مصروف مبلغ فراه المحكمة .

الرئيس : المحكمة تصرح له بالمصروف

النيابة : النيابة ليس لديها مانع .

فايز : أرجو أن يتسلم المحامي جميع المتهمين .

المحامون : أنت مش معانا يا المتهمين !

الرئيس : المحكمة سمعت أقوال دفاع التصريح بمثل هذا الطلب إلى متهم ... ثم نطق رئيس المحكمة بالقرار

المحتويات

الموضوع	الصفحة
تقديم	٧
الفصل الأول : النكسة والتأسيس	١٣
الفصل الثانى : نحن والإخوان المسلمون	٣١
الفصل الثالث : نحن وصالح سرية	٤٧
الفصل الرابع : التنفيذ والمحنة	٦٩
الفصل الخامس : مشاهد من داخل المحنة	٨٧
الملاحق : وثائق من ملف القضية الصحفى	١٠١